حقائق مُخفيّة في التّاريخ والسّياسة والهُويّة

وإيقاظ الوعي المغيَّب

نشر مركز الأبحاث العلميّة والاستشارات



د. خالد عبد الكريم أبو شنب

معالج الصحة النفسية للأطفال والمراهقين، والاستشارات الزوجية. خبير في علم النفس الإيجابي وجلسات السلامة النفسية. حاصل على درجتي الماجستير والدكتوراه، مع بحث في فقه العمران والمعمار الإسلامي، وتاريخ العقائد والأديان والمذاهب.

أنقرة 1447هـ / 2026م

حقائق مخفية في التاريخ والسياسة والهوية   د. خالد عبد الكريم أبو شنب

الفهرس

المقدمة 6

1.تحليل حرب غزة وأثرها على الصعدين المحلي والدولي 7

2.عائلة الأسد الباطنية؛ من الهوية الدينية والثقافية إلى السلطة السياسية 14

1.2.ما هي الباطنية؟ 14

2.2.أصول عائلة الأسد 14

3.2.عائلة الأسد في القرن العشرين 14

3.التمثيل الدرامي للهوية المصرية في مسلسل "عمرو بن العاص" (1983م) 17

ومقارنته بمسلسل "رجل الأقدار (2003م) " 17

3.مقدمة 17

1.3.المسلسل الأول: "عمرو بن العاص" ورؤية الهوية الأصيلة 17

2.3.المسلسل الثاني: "رجل الأقدار" وتشويه الوعي التاريخي 18

3.3.الدراما بين الوعي والتزييف 18

4.3.خاتمة 18

4.المدرسة الحنفية بين مدرسة أهل الحديث والرأي الأولى، والمدرسة الحنفية الكلامية الماتريدية الثانية، والأشعرية؛ قراءة رصدية في تطورها الفكري والتاريخي 19

1.4.مقدمة 19

2.4. الإمام أبو حنيفة والعقيدة في الطور الحنفي الأول 19

3.4. أثر التلامذة في تبلور المدرسة الحنفية الأولى 19

4.4. الأصول المؤسسة للمدرسة الحنفية 20

5.4. مفهوم الرأي في المدرسة الحنفية ومكانته العلمية 20

6.4. العمل بالرأي وأثره في الجرح والتعديل 20

7.4. من الحنفية الأولى إلى الحنفية الكلامية الثانية 21

8.4. انتساب الماتريدية إلى المدرسة الحنفية 21

9.4. انتساب الأشعرية إلى بعض البيئات الحنفية 21

10.4. المدرسة الحنفية في العهد السلجوقي والعثماني 21

11.4.خاتمة 22

12.4.الكلمات المفتاحية 22

13.4.المراجع 22

5. سكة حديد الحجاز؛ من مشروع وحدة إسلامية إلى صراع 23

الممرات في زمن الحرب العالمية الثالثة 23

1.5.مقدمة 23

2.5. قطر السكة الحديدية بين الهندسة والاستراتيجية 23

1.2.5.التكيّف مع الطبيعة الجغرافية 23

2.2.5.البعد العسكري 23

3.2.5.الاستقلال التقني 23
3.5. سكة الحجاز في سياقها التاريخي 23
1.3.5.أهداف المشروع: 23
4.5. دور الشخصيات العربية داخل البلاط العثماني 23
1.4.5.الإدارة المحلية 23
2.4.5.الدعم الاجتماعي والقبلي 24
3.4.5.الدور الديني والعلمي 24
4.4.5.الدعم المالي 24
6.5.ملاحظة توثيقية 24
7.5. انهيار المشروع ودلالاته 24
1.7.5.دلالات الانهيار: 24
8.5. إعادة إحياء السكة في العصر الحديث 24
1.8.5.الأبعاد المعاصرة 24
9.5. قراءة تحليلية 25
10.5.خاتمة 25
11.5.الكلمات المفتاحية 25
ثبت المراجع 25
ثانيًا المراجع التركية والأجنبية 25
6.لماذا مصر العربية الإسلامية وليس الفرعونية؟!!! 26
1.6.الكلمات المفتاحية 26
2.6.التمهيد 26
3.6.الخاتمة 29
7.سكة حديد الحجاز؛ من مشروع وحدة إسلامية إلى صراع الممرات 30
في زمن الحرب العالمية الثالثة 30
1.7.الكلمات المفتاحية 30
2.7.مقدمة 30
3.7. قطر السكة الحديدية بين الهندسة والاستراتيجية 30
4.7. سكة الحجاز في سياقها التاريخي 30
5.7. دور الشخصيات العربية والإسلامية داخل البلاط العثماني 31
6.7. انهيار المشروع ودلالاته 31
7.7. إعادة إحياء السكة في العصر الحديث 31
8.7. قراءة تحليلية 32
9.7. إسرائيل وسكة الحجاز: قلق الممرات لا قلق الحديد 32
10.7.خاتمة 32
11.7.ثبت المراجع 33
1.11.7. المصادر والمراجع 33

2.11.7. المراجع التركية والأجنبية 33
8.الحدود الممزقة: حلايب وشلاتين بين خيانة الداخل والمشروع الصليبي 34
1.8.تمهيد 34
2.8.محمد علي... البداية الأولى للانفصال 34
3.8.حدود قُطِعت بقرار استعماري 34
4.8.من الإدارة المشتركة إلى صدام 1992 34
5.8.التمرد الصليبي ومشروع التقسيم 35
6.8.خيانة الأرض وبيع الدم 35
7.8.الشعب يقاوم... والأنظمة تقمع 35
8.8.من لبنان الكبير إلى دولة قرنق الصليبي 35
9.8.خاتمة 35
10.8.ثبت المصادر والمراجع 36
9.لماذا رفضت المدرسة اللادينية الأثرية فكر د. عبد الكريم أبو شنب؟ 37
(قراءة في البعد المعرفي والسياسي) 37
1.9.المقدمة 37
2.9. التباين المنهجي 37
3.9. معركة الهوية 37
4.9. البعد السياسي 38
5.9. أسباب الرفض المعلنة وغير المعلنة 38
6.9. قراءة تركيبية 38
7.9.الخاتمة 38
10.علم النفس الأثري؛ مقارنة بين المنهج التوحيدي د. عبد الكريم أبو شنب 39
والمناهج الاستشراقية والتغريبية 39
3.10. الاستشراق والمناهج الغربية: رؤية مادية وتشريحية 39
3.10. التغريبيون (المستغربون): استنساخ الغرب دون نقد 40
4.10. المفرقة الكبرى: بين روح الإنسان وغريزته 40
5.10.الخاتمة 40
6.10.مقال منشور بجريدة إدراك بوست التركية 40
11.القرآن الكريم بين الماضي والحاضر 41
1.11.التمهيد 41
2.11. معنى كلمة القرآن 41
3.11. لغة القرآن الكريم 41
4.11. جمع القرآن ونسخه 42
5.11. حفظ القرآن 44
6.11. طباعة المصاحف المعاصرة 45
7.11. أماكن أقدم مصاحف القرآن الكريم 46

8.11.الخاتمة 46
9.11.ثبت مصادر ومراجع للاستزادة 46
12.كيف انتقلت الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين؟!!! 48
12.الكلمات المفتاحية 48
2.12. التمهيد 48
3.12.كيف انتقلت الخلافة لسلاطين آل عثمان؟!! 48
1.3.12. خلافة الإستحقاق 48
2.3.12. الإستحقاق الشرعي 49
4.12. لقب الإمامة والصراع حول الخلافة 50
5.12.الخاتمة 50
6.12.ثبت المصادر والمراجع 51
13. علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بين الشرعية المفقودة والدولة السبئية المتغلّبة (دراسة استقرائية تحليلية في أسباب سقوط أول دولة انقلاب عسكري في تاريخ الإسلام) 52
1.13.أسباب زوال خلافة الكوفة 52
2.13.لماذا سميت الخلافة الراشدة بهذا الاسم؟ 58
3.13.كم عمر الخلافة الراشدة؟ 58
4.13. استدراك 58
14.من أوراق التاريخ السياسي الإسلامي 60
15.الدول الإسلامية الكبرى "الأموية والعباسية والعثمانية" 63
هل كانت خلافة أم سلطنة؟ 63
1.15.التمهيد 63
2.15.علاقة نظام الخلافة بأنظمة الملك والسلطنة 64
3.15.الفترة المثالية: الخلافة الراشدة 67
الخاتمة 68

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل التاريخ عبرة لأولي الألباب، والصلوات والسلام الأتمّان الأكملان على مبعوثه رحمة للعالمين، إمام الهدى وقائد الأمة، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد،

إن الأمة الإسلامية والعربية تعيش اليوم واحدة من أدق مراحلها التاريخية؛ مرحلة اختلطت فيها الأوراق، وزُيّفت فيها الحقائق، وتعرّض فيها الوعي الجمعي لعملية "تغييب ممنهجة" طالت هويتها الثقافية، وتاريخها السياسي، وحاضرها الجيوسياسي. ومن هنا، يأتي هذا الكتاب : **"حقائق مخفية في التاريخ والسياسة والهوية وإيقاظ الوعي المغيَّب "**ليكون محاولة جادة وصادقة لفك شفرات الحاضر عبر بوابات التاريخ، وعلم النفس المعرفي، وفقه الواقع.

إن هذا المؤلف ليس مجرد سرد للأحداث، بل هو **مشروع تشريحي واستقرائي** يمتد عبر أربعة أبعاد أساسية:

1. **البُعد الجيوسياسي والسياسي المعاصر :**بدءاً من تحليل "حرب غزة" وتداعياتها المحلية والدولية، مروراً بصراع "الممرات الدولية" الحديثة وإسقاطاتها على مشروع "سكة حديد الحجاز" القديم في ظل نُذر حرب عالمية ثالثة، وصولاً إلى ملفات الحدود الحساسة كقضية "حلايب وشلاتين" وأبعادها الإستراتيجية.
2. **البُعد العقدي والفكري والتاريخي :**عبر تتبع جذور "الباطنية السياسية" وتمظهراتها في الشام، ورصد التطور التاريخي للمدرسة الحنفية وعلاقتها بأهل الحديث والماتريدية والأشعرية، بالإضافة إلى حسم الإشكاليات الكبرى حول طبيعة الحكم في الدول الأموية والعباسية والعثمانية، وكيفية انتقال الخلافة.
3. **معركة الهوية والثقافة :**بطرح التساؤل المصيري حول هوية مصر العربية الإسلامية في مواجهة النزعات التغريبية والفرعونية، وتشريح ذلك دراميا عبر مقارنة فنية بين أعمال تاريخية كبرى.
4. **البُعد المعرفي والنفسي التوحيدي :**وهو جوهر أطروحتنا في مواجهة المناهج الاستشراقية؛ حيث نناقش من خلاله "علم النفس الأثري" كمنهج أصيل، مفسرين أسباب مدافعة المدرسة اللادينية للفكر التوحيدي المستقل.

إننا عبر هذه الفصول الخمسة عشر، لا نهدف إلى تقديم ترف فكري، بل نسعى جاهدين لبناء "وعيٍ يقظ" يستعصي على الاختراق، مستمسكين بالوحي ومعطيات التاريخ الحق، سائلين المولى عز وجل أن يجد القارئ في هذا العمل نبراساً يضيء له ما خفي من كواليس السياسة والتاريخ.

1.تحليل حرب غزة وأثرها على الصعدين المحلي والدولي

التمهيد

في علم الحرب النفسية هناك قاعدة تقول: *"إن الحروب يمكن إشعالها بعود ثقاب؛ لكن لا يمكن التحكم في نتائجها أو توسعها أو تحديد نهايتها"*. وكما أن؛ *"الحرب خدعة، والمنتصر فيها هو مَن يكشف خطط الثعلب المكار"*؛ النصر في القرآن يأتي فجأة. والنصر لمن يتحمل الصبر والجلد حتى النهاية؛ وفي ذلك يقول الإمام المجاهد الأموي التركي الأذربيجاني المستعرب أبو محمد عبدالله البطال فاتح مدينة آسكي شهير بتركيا سنة 112هـ: *" إنما النصر صبر ساعة"*. وفي العلوم الحربية: *"من يحفظ موارده و يستنزف العدو أكثر؛ يكن هو المنتصر"*؛ ومن هنا فإن في حرب غزة هناك لعبة طويلة الأمد تجمعت كل خيوط تلك اللعبة السياسية على أرض غزة. تلك اللعبة التي لم ينتبه لها أهل غزة؛ ولكن عن النقيض من ذلك كان الكيان الصهيوني يعرفها ومنتبهًا لها؛ ولكنه وقع في شر أعماله؛ وهذا ما سيتضح من خلال المقال. يوجد من ضمن العلوم العسكرية ما يعرف **بعلم النفس الحربي والتوجيه**؛ *"بمعنى أن أي حرب؛ ما هي إلا سوق لبيع العقيدة؛ أيان ما كانت هذه العقيدة صحيحة أم باطلة"*. فلو نظرنا منذ بداية الحرب للآن سنجد أن اللعبة التي دبرتها إيران مع الكيان الصهيوني وانقلبت عليهما واشتعلت بينهما! هي: *"أنه ليس شرطًا أن تعتقد عقيدتي بالدعوة المباشرة؛ لكني سأجعلكِ تؤمن باعتقادي؛ وتترك اعتقادك الصحيح؛ وتشك فيه بكامل إرادتك؛ وسوف تتعصب للباطل أو على الأقل تتميع العقيدة عند المسلم؛ بقصد افسادها"*. وهذا واضح في قطاع كبير من المتشيعين ذهنيًا من صحفي غزة وفي قطاع ليس بالقليل من نساء غزة المشاهير... وغيرهم على وسائل التواصل الاجتماعي؛ منذ الشهر السادس للحرب حتى نجاح الخطة؛ أي بعد الاتفاق للهدنة. مازال هذا التميع العقدي مستمر. وزاد هذا الوضع خطابات الملثم لحركة حماس التي تكيل المدح في قتلة أهل السنة بسوريا ومعه زياد النخالة رئيس حركة الجهاد الذي شكر إيران الشيعية على صفر شاحانات مساعدات. إن تميع العقيدة يجعل المسلم يجمع بين الحق والباطل؛ فمثلاً يصلي؛ ويشرب خمر. يقرأ قرآن؛ ويدخل إلى المواقع الإباحية. وتقرأ المسلمة القرآن بمكياج كامل. ترقص؛ وخلفها آية قرآنية؛ يرى الباطل حقًا والحق باطلاً...وهكذا. مميعي الفكر كالميعة السائلة هم الطابور الخامس بيننا؛ والصف الخفي الداعم لطابور النفاق بين صفوفنا؛ عند مواجهة العدو؛ هم الخطر الأول؛ ولابد من تنقية الصف منهم؛ كي يصلح بدن الأمة ويصح.

الموضوع

عندما ننظر لخريطة الهلال الخصيب يعني خريطة العراق مع كل جغرافية بلاد الشام كوحدة واحدة؛ وليس سوريا وحدها. سنجد قبل 7أكتوبر2023م الدولة السنية الوحيدة المتبقية رغم العمالة للغرب في سياستها هي الأردن. فدولة لبنان صليبية في شمال الكيان. وحتى بوسط علم لبنان شجرة الأرز لعيد ميلاد اليسوع المسيح الإله المزعوم. فلبنان علمها علم ديني بحت. وهو مطور عن علم إمارة طرابلس الصليبية التي استردها السلطان المنصور قلاوون المملوكي في القرن الـ8هـ/13م وأعاد فتحها؛ أعاد خلق هذه الإمارة قائد قوات الجيوش الفرنسية في سوريا بعد الحرب العالمية الأولى غورو سنة 1920م. بدأ الكيان بعد تأسيسه في خلق المقاومة الشيعية في لبنان حسب ما ذكره رئيس الوزراء الإسرائيلي الهالك شارون في مذكراته. وعمل على بناء لعبة نفسية عقائدية نتج عنها تدمير غزة. فقبيل الحرب لم يتبق أي مليشيا عسكرية سنية متماسكة في أرض الشام سوى حركة حماس. وكانت الحركات السنية مختلفة وتتقاتل فيما بينها بالمحرر السوري. وكانت إيران مع الروس يبعدوا العدة للقضاء على المناطق المحررة بالشمال السوري؛ أي أنهم كانوا يريدون القضاء على الشام السني للأبد. بتغير التركيبة السكانية وعقيدته ودينه وكل شيء فيه؛ وهذا واضح من تصريحات بشار سنة 2021 *:"الأمويون ليسوا سوريين؛ هؤلاء بدو أعداء للحضارة الإنسانية. سوريا من غير أهل السنة أكثر انسجامًا. ولم يعد هناك داعي لموضوع الوحدة الوطنية المصطنعة؛ فقد تخلصنا من أهل السنة للأبد. القضية الفلسطينية لا علاقة لنا بها؛ ولتذهب إلى الجحيم"*. اغتيالات قادة حماس عند المخلوع بشار الوحش تحت التعذيب في سجن صدناياه. وقوله: *" كنا نطمع في الدولة العلوية وعاصمتها حمص بالساحل؛ الآن سنجعل كل سوريا نصيرية"*؛ إلغاء المخلوع بشار النصيري لدار الإفتاء رمز عقيدة أهل السنة والجماعة؛ وعمل المجلس الديني الأعلى لكل الطوائف العقائدية من غير أهل السنة لإفتاء المسلمين السنة في دينهم سنة 2023م. وهذا كله موثق بالفيديوهات.

كما يذكرنا ما سبق بخطاب شارون سنة 2001م ثاني يوم من نجاحه في رئاسة وزراء الكيان. حيث ترجم الخطاب الأستاذ أحمد بهجت في جريدة الأهرام المصرية عام 2001م؛ حيث ذهب شارون إلى الكنيست وألقى أهم خطاباته؛ لم يلتفت لها أحد. لكنها تحققت بعد مماته بالتفصيل الدقيق. حيث قال: *"إن وظيفتنا الآن بالمنطقة العربية هي أن نزيح الحكام اللادنيين العرب السنة من على حكم البلاد العربية. وتولية الشيعة الحكم في البلاد ذات الأكثرية السنية. والشيعة سيتكفلون بإبادة السنة عوضًا عنا. ونحن سنتكفل بالشيعة"*. عام 2003م تم الغزو الأنجلو أمريكًا للعراق وتمت إزاحة صدام حسين السني العالماني

وإعدامه على يد نوري المالكي حفيد مالك بن الأشتر قاتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان –رضي الله عنه- اغتيل ذي النوريين في 8 ذي الحجة سنة 35 هـ وأعدم صدام يوم 10 ذي الحجة سنة 1424هـ؛ وفي 10 ذي الحجة سنة 656هـ أعدم الخليفة العباسي المستعصم بالله بأمر هولاكو الوثني على يد الوزيران الشيعيان ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي الفارسي بعد أن أغتصبوا زوجته وبناته أمامه. ثم لفوه في سجادة وظلوا يضربونه ثم أغلقوا السجادة عليه وهو حي بداخلها. وألقوا به من أعلى قلعة بغداد في نهر الفرات. وفي نفس هذا اليوم 10 ذي الحجة سنة 656هـ ولد عثمان ترك مؤسس الدولة العثمانية بمهد الأتراك الثاني بالأناضول. ليعلم الجميع أن الأمة تمرض لكنها لا تموت. ولا أريد أن أدخل في تواريخ تفصيلية مهدت لما حدث بغزة والمنطقة. لأن هذا يسمى علم بين التاريخ والواقع؛ في يناير 2024 خرج كاهن الشيعة الأكبر خامنئي وقال: *"سنلقي بإسرائيل في البحر"* . وكان غرضه تدمير الحركة السنية المسلحة المتماسكة بأرض الشام حماس التي يسميها *"المؤلفة قلوبهم"؛* لصالح حركة الجهاد الأسود الشيعي بغزة. المتسترة باسم الإسلام. وكان الاتفاق السري بين إيران ودولة الكيان الصهيوني؛ أو كما يعرفون في المثل المصري: *"الأخوة الأعداء"؛* أن يجروا حماس للحرب بأي وسيلة على أن تتدمر بيد الدولة الصهيونية؛ وتحكم حركة الجهاد مكان حماس.

لكن التقدير الإلهي؛ جعل مخابرات حماس لا تستطيع السيطرة على الوضع في غزة والجهاد وجماعة أبو علي مصطفى الشيوعية...وغيرهم من الفصائل خرجوا مع حماس لفلسطين 48 المحتلة. فهنا حدثت الصدمة لإيران الشيعية وخرجوا يلقون باللوم على حماس على أساس انقاذ حركة الجهاد من فتك دولة الصهاينة بها مع حماس. لكن ما فاجئ الجميع أن حماس والجهاد وباقي الفصائل؛ كانوا يعتقدون أن الكيان سيحافظ على أرواح مواطنيه؛ فإذا به يحرق المستوطنات بالمستوطنيين مع عناصر حماس وسائر الفصائل الفلسطينية. وكان الخطأ الأكبر من حماس أنها عملت بذلك؛ وأكتفت بتأمين ذويها مع حركة الجهاد. ولم تأمن الشعب. ولذلك على الشعوب أن تفهم: *"أن الحكومات في الحرب لا تهتم بالمحافظة على أرواح مواطنيها"؛* ومنذ الحرب العالمية الثانية: *" ممنوع تغيير الحدود الدولية وغزة وأريحا والقدس الشرقية قبل ضم دولة الصهاينة لها بمباركة ترامب؛ كانت فقط هي الأرض المسموح لفلسطنيين فيها بالجهاد"* فلما تم الاقتراب من فلسطين 48 هاجت الدنيا ولم تقعد؛ لأن هذا اخلال بشروط المنتصرين في الحرب العالمية الثانية؛ لذا كان الإنتقام من غزة مضاعفًا في حرب هذه المرة. منذ 2005 والكيان يريد أن يحتل غزة؛ وكان بانتظار خطأ واحد من قبل حماس.

وكان من عادة الإحتلال أنه يضرب وبالطيران والصواريخ ولا يدخل غزة. وكانت القيادة الخمسية لإيران تريد القضاء على حماس بيد الصهاينة؛ وتسليم الحكم في غزة لحركة الجهاد المتشيعة بقيادة زياد النخالة. وكان ذلك عبر عزل سكان غزة عن محيطهم السني فكريًا مقابل المال الإيراني؛ الذي كانت الدولة الصهيونية تغض الطرف عنه لصالح حماس والجهاد. عبر مدح قيادة الفصائل المقاومة في قتلة الشعب السوري المسلم وغيرها من شعوب المنطقة أو بمعنى آخر تطهير نجاسة قتلة المسلمين وتصويرهم بأنهم أبطال بخاصة في الخطابات الموجه لشعوب المنطقة لمصر وبلاد المغرب العربي. فتسقط حماس بذلك معنويًا أمام 2 مليار مسلم وبالأخص أمام تركيا والسوريين السنة؛ ويخيب ظن المصريين السنة فيهم. ولم تنتبه حماس؛ أن من أسقط عمر البشير رئيس السودان سنة 2019م؛ أنه سقط معنويًا عبر السقوط الأخلاقي والديني أمام 2 مليار مسلم بزيارته لبشار الوحش؛ واعترافه بأن بشار يدافع عن نفسه ضد الإرهاب. فلم تساعده تركيا أو قطر أو السعودية وتركوه لانقلاب الأمريكان وإسرائيل والإمارات. في تلك الفترة بدأ الإيرانيين يشترطون على حماس أن تمدح الخميني وأن تعتبره إمامًا للمسلمين. حينها توجه هنية إلى إيران وبدأ يسقط أخلاقيًا أمام العالم الإسلامي؛ وبخاصة بعد مذابح أهل السنة في سوريا؛ واليمن التي وصل فيها قتلى أهل السنة على يد الحوثي 400 ألف مسلم سني منذ احتلاله للعاصمة صنعاء للآن. إن هنية لم تستطع الموساد قتله لا بتركيا ولا بقطر؟ ولكنه قتل بإيران. وداخل مقر الحرس الثوري الشيعي. ترى ما حقيقة ملابسات الأمر؟! يتبيين من سياق الأحداث ورفض إيران التحقيق الشفاف في مسألة قتل إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحماس. إن الهدف الحقيقي وراء قتله قطع رؤوس السنة المتشيعين سياسيًا بعد الإعتراف بفضل إيران؛ كي لا يرجعوا عن مواقفهم منها؛ وغسل أيدي إيران من مجازرها ضد المسلمين السنة بيد الفلسطنيين؛ وبذلك يحققون من قتله اثبات أن الشيعة ينصرونكم وينصرون القدس. على الرغم من أن الشيعة الإثنا عشرية لا يؤمنون بالمسجد الأقصى؛ ويعتقدون بأنه في السماء الرابعة. وأن بيت المقدس كربلاء. فكيف ينتصر الشيعي الإيراني لعقيدة لا يؤمن بها؟! وفي خطابات هنية الأخيرة بالتلفاز الإيراني قبيل موته بدأت عملية غسل نجاسات إيران والشيعة بالمنطقة في سوريا والعراق ولبنان واليمن. ولهذا نجد آخر خطاب لإسماعيل هنية لأول مرة يتعرف في تلفاز رسمي أمام القنوات الفضائية بأن الخميني إمامًا؛ على الرغم أن ثالث دولة اعترفت بإسرائيل بعد قيامها هي إيران. ولم يسحب الخميني ولا خلفائه هذا الإعتراف حتى الآن. لقد كان لخطاب هنية في ظل ظروف الحصار على غزة من قبل الحكومات العربية للادينية التي تحكم البلاد السنية سببًا في ظهور فلسطنيين يعترفون بإمامية الخميني وخامنئي؛ بمعنى آخر أن إيران استغلت هنية وجرته لمقتله؛ بعد أن جعلته سببًا في نشر التشيع السياسي والديني بين كل أهل فلسطين وليس غزة فقط. والدليل أن رئيس حركة الجهاد زياد النخالة كان بالغرفة المجاورة لهنية والحرس

الثوري حوله لم يصب أحد سوى هنية ومرافقه. حينها نتنياهو قال:" *لم تسئني ولكنها سرتني"؛* إيران اغتالته ولم تعلن ولن تستطيع الاعلان؛ فلنقل نحن من قتله؛ وبذلك نلمع صورة إيران كدولة مقاومة.

ثم بدأت المرحلة الثانية مرحلة تصدير يحيى السنوار لتبرير جرائم الإيرانيين في أهل السنة. وللعلم بغض الطرف عن المشهد البطولي الذي استشهد فيه يحيى السنوار؛ إلا أنه لم يكن على علم بساعة الصفر يوم السابع من أكتوبر للطوفان؛ إلا قبلها بساعة؛ حسب ما ذكر مقربين من الرجل الظل في حماس محمد الضيف. ولكن يحيى السنوار؛ الضيف وضعه وضع حماس وسكان غزة في موقف اللاعودة. حينها بدأ الوجه الحقيقي لحسن نصر الله زعيم المليشيا الإيرانية في لبنان ينكشف. فبدأ يضرب عمود كهرباء وأماكن فاضية وحشائش وأماكن فلسطين عرب 48 لتهجيرهم لصالح المستوطنين بالكيان. وقامت قناة الجزيرة وقتئذ بتصوير القصف والجحيم الذي تتعرض له مدينة صور اللبنانية السنية بالساحل اللبناني؛ على أنه قصف حزب الله الشيعي لعاصمة الكيان قرية الشيخ مؤنس-تل أبيب؛ من أجل تلميع المليشيا الشيعية في لبنان؛ على الجانب الآخر كانت الدولة الصهيونية تريد تحقيق أي نصر بعد ما خسرته في حرب الاستنزاف بغزة. وما كان متوقع أن الحرب ستطول مع حماس. وبدأوا يعملون على عامل الوقت وسلاح التجويع لقهر غزة. وبدأ نتنياهو ينادي بحرب صليبية مقدس لانقاذ بيت المقدس من الفلسطنيين. حينها اجتمع الاتحاد الأوروبي لارسال حلف الناتو لحرب شعب غزة الأعزل براية دينية صليبية أو بمعنى آخر افناء كل سكان غزة؛ فالغزيين 2 مليون مسلم سني. وإيران بالعراق أبادت وهجرت 5 مليون سني؛ وبسوريا قتلت مع الروس والنصيرية 2مليون ونص مسلم سني وهجرت 12 مليون مسلم سني آخرين من السوريين. وفي غزة 2 مليون فلسطيني سني؛ لا شيء يذكر بالنسبة لمن قتل من اهل السنة بالعراق والشام. في نفس هذه اللحظة خرج وزير دفاع إيران *وقال:" نحن لا علاقة لنا بحماس؛ ولا نعرف ماذا دبرت أو فعلت؟"* وبدأوا يتبرأون من غزة؛ وهذا واضح من تصاريح وزير خارجية إيران القتيل حسين عبد اللهيان وإبراهيم رئيسي رئيس إيران السفاح الذي قتل من أهل اسلنة بسوريا 250 ألف نفس مسلمة؛ ويكأن لسان حالهم يقول للغرب النصراني*:" نناديكم لتنقذوا الدولة الصهيونية من الزوال. وتبيدوا سكان غزة المسلمة؛ فهي وحدها"؛* بطريقة غير مباشرة. ثم خرج خامئني مرشد الشيعة الجعفرية الأعلى ليقول:" *أن أهل فلسطين سيحررونها وحدهم... وأننا سنحارب الأمة اليزيدية (أهل السنة والجماعة) في كل مكان إلى يوم القيامة؛ فالحرب بين الأمة الحسينية وبينهم لم تنتهي بعد."* وهو يعلم علم اليقين أنه على مدار التاريخ لم تحرر فلسطين من داخلها أبدًا. وأن دولة الكيان الصهيوني أتت بحرب عالمية؛ ولن تزول؛ إلا بحرب عالمية. من سيسطر على قناة السويس في الحرب الحرب العالمية الثالثة سيحكم كل فلسطين وسائر بلاد الشام. في تلك اللحظة الدقيقة حشد الرئيس التركي أردوغان ملايين المسلمين الأتراك باسطنبول ورد على اجتماع الناتو قائلاً:*"لا تجعلوها حربًا صليبية فإن أحفاد السلطان سليم الأول ومحمد الفاتح وصلاح الدين لم يموتوا بعد فلا تحيوا الجهاد الإسلامي؛ في مواجهة فكرة الحروب الصليبية من جديد".* حينئذ خرجت رئيسة وزراء ألمانيا أنجيلا ميركيل وقالت:*"إن الرئيس التركي قد فهمنا خطأً؛ لكننا لا نستطيع منع المتعاطفين من القتال ضد الإرهاب في غزة".* وهنا تغير قرار الغرب بدلاً من إرسال جيوش نظامية لإبادة مسلمي غزة؛ تم الإكتفاء بارسال متطوعة وأسلحة للدولة الصهيونية مع الهند الوثنية. وقبيل حرب غزة 2023م بدأت حرب أوكرانيا 2022م؛ وبدأ الروس يسحبون قواتهم من سوريا لحرب أوكرانيا. ومع حرب غزة بدأ نتنياهو يقول:" *آن الأوان بوقف التمدد الشيعي الذي يهدد المشروع الصهيوني بالمنطقة".* بعدما ضربت إيران الصواريخ الخشب 400 الفارغة من الرؤوس المتفجرة على الدولة الصهيونية. فوقتئذ قال وزير الأمن الداخلي الشباك الدولة الصهيونية: *"فما بالنا لو كانت صواريخ حقيقية لأكلت نصف مساحة دولة الكيان"؛* من هنا رأت وقدرت إدارة الدولة الصهيونية أن الوقت قد حان لازاحة الشيعة ولإحراز أي نصر. فهاجموا قواعد الحرس الثوري بسوريا وقتلوا حسن نصر الله زعيمهم ومن قبل قتلوا قيادات الحزب الشيعي التي شاركت في إبادة أهل السنة بسوريا عبر تفجير البيجر. وبذلك تحول كل جزار شارك في مذبحة حلب 2016م من قتلة وسفاحين إلى شهداء وأبطال. وفي نفس وقت إطلاق الصواريخ الإيرانية ذات الرؤوس غير المتفجرة كانت إسرائيل تدك الشمال الغزي بحزامات مدمرة تخلع القلوب؛ وكان المطبلين والمزمرين من المتأرينين الفلسطنيين الشيوعيين والجهلاء بيسبحوا بحمد إيران. إن مشروع الدولة الصهيونية؛ مشروع مضاد لمشروع الإمبراطورية الشيعية الفارسية. ولكن أصحاب المشروعان متفقتن على إبادة المسلمين السنة بالمنطقة.

ومن جانب آخر رأى الكيان الصهيوني أن المشروع الشيعي صار جارًا؛ فتضاربت مصالح الأعداء؛ فكان لازمًا عليه أن يوقف تمدده ويغسل وجه الشيعة من دماء أهل الإسلام بالهلال الخصيب. في تلك اللحظة كان قيادة الاحتلال الروسي مشغولة بحربها في أوكرانيا. والدولة الصهيونية مشغولة بحرب غزة. ونجاح ترامب في الانتخابات الرئيسية وانشغال أمريكا بمشاكلها الداخلية. حينئذ صدر القرار من أنقرة بتوحيد كل فصائل المسلحة السورية السنية تحت قيادة مركزية واحدة بالأمر باسم*قيادة عمليات ردع العدوان* في سوريا في جيش واحد وأن تبدأ عملية تحرير سوريا حينها فوجئ الصهاينة بأنهم*"أسقطوا صديقهم بشار دون أن يقصدوا"؛* كما صرح بذلك الصحفي الإسرائيلي ديفيد ياكوب عضو مركز الدراسات الإستراتيجية الصهيوني بإسرائيل. من جهة أخرى احتلت دولة الكيان أكثر من نصف لبنان؛ وجعلوها تحت الوصاية الصهيوأمريكية؛ بعد

توقيع المليشيا الإيرانية بقيادة نعيم قاسمي رئيس الحزب الجديد للشيعة نيابة عن الدولة اللبنانية اتفاق الهدنة مستغلاً شغور منصب رئيس الجمهورية اللبنانية. ودون استشارة شركاء الوطن بلبنان. لكن بالرغم من ذلك ظلت غزة السنية تقاتل بلحوم أبنائها واطفالها ونسائها؛ حينئذ أرتأت اللجان الإلكترونية عبر الدروز الشيعة الباطنية العاملين بجيش الكيان الصهيوني بالعمل على دعم إيران بغزة. وبدوأ يردون الوصول ليحيى السنوار ليأسروه. ولكن كيف يخرج من جحره؟! قبيل اغتيال يحيى السنوار زعيم حماس خرج وزير الخارجية الإيراني السابق جواد ظريف وأعلن: *" نحن حلفاء الدولة الصهيونية؛ وليس لنا علاقة بحماس وحماس تصرفت بدون علمنا"(وقد كرر ما يشابه هذا نفس الكلام في 22 يناير 2025م).* في نفس اللحظة خرج المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية خامنئي وأعلن: *"نحن أعداء إسرائيل؛ وسنلقي بها في البحر"؛* هذه البراجماتية النفسية والانفصام النفسي والعقدي الذي تتبعه إيران في تعاملاتها السياسية ما يهمنا منه كلام وزير خارجية إيران: *" إننا مستعدون لدفع رواتب ومستلزمات حماس لتستمر في المقاومة".* إن المتتبع للأحدث ليلاحظ أن السياسية الإيرانية في بداية حرب غزة تعلن تبرأها من طوفان الأقصى؛ وبعد تكسير عظام الحرس الثوري في سوريا ومليشيا حزب الله الشيعي الإيراني في لبنان؛ بدأوا يهدفون إلى استخدام المقاومة السنية حماس المتشيعة سياسيًا وليس عقائديًا كمخلب قط ضد الدولة الصهيونية؛ ومن الأمور الغريبة أن إيران في بداية الحرب لا علاقة لها بغزة؛ والآن تريد أن تدفع رواتب أعضاء حركة حماس. ويزيد الأمر غرابة موافقة الغرب والدولة الصهيونية على ذلك!!! حينئذ خرج السنوار ليقول: *" نحن بحاجة إلى 500 مليون دولار".*

فاتفق يحيى السنوار مع الشيعة الإيرانيين أن يتقابلوا في رفح؛ وأصرت إيران أن يستلم يحيى السنوار المبلغ بنفسه؛ لكن إيران باعته للإمارات ولملك الأردن وللسيسي بمصر ولدولة الكيان الصهيوني؛ فبدلاً من أن يأتي مندوب إيران ويقابل يحيى السنوار؛ فوجئ السنوار حينها بأن الذي أتى له بدلًا عن المندوب الإيراني؛ جيش الكيان الصهيوني؛ وقتلوه وتم التعتيم؛ حينئذ على أن إيران من أخرجته؛ وبدأ الإعلام المتأرين يغسل عقولنا؛ كي لا نفكر في جريمة إيران؛ بأن شغلوا عقولنا بعصاية السنوار. ومثل جديد ظهر في اللغة العربية عن عصاية القائد الشهيد. ورسومات تمثيلية ومسرحيات وقصص عنه؛ وإعادة طباعة قصته الشوك والقرنفل. وحذفت من وسائل الإعلام أي معلومة عن خيانة إيران؛ وهنا يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة؛ ألم يفكر يحيى السنوار أبدًا لماذا يصر الإيرانيين على خروجه في مثل هذه الظروف الحرجة؟! ولماذا لم يرسل لهم شبيه؟ أم أن هذا يعد من الغباء الاستراتيجي؛ حقيقة يحيى السنوار ليس بقائد عسكري؛ بل هو رجل سياسة؛ لهذا ربما؛ أرتأى أن خروجه لن يؤثر على سير المعركة؛ حتى وإن فقد حياته. ولربما يقول: *" آخر الفلوس تغيب العقول".* لا يعلم حقيقة ما جرى في عقل الرجل إلا الله. ولكن مقتل يحيى السنوار الذي كال المدح لقاتل أهل السنة بشار الوحش وقاسم سليماني؛ ذاتًا اسقطه أخلاقيًا في العالم الإسلامي السني؛ وما مقتله إلا خدمة للإيران ليترسخ التشيع في عقول الأجيال القادمة من أهل غزة. فيحيى السنوار قبل حرب طوفان الأقصى قال: *" غزة ككربلاء؛ وأهل غزة كأنصار الحسين ضد يزيد"؛* هذه الجملة انتشرت كالنار في الهشيم وهي خطر على العقل الباطن لأهل غزة. فهذه الجملة تعني في العقل اللاواعي: *"أنه يجب عليك أيها المسلم الفلسطيني أن تستقبل الموت؛ لأنه قدرك. وألا تفكر في الانتصار أبدًا كربلاء".* فكربلاء هزيمة عسكرية بمعنى الكلمة للحسين -غفر الله له- وفتنة وحرب أهلية بين المسلمين. والغرض من استخدامها أنه يخاطب العقل اللاوعي عند حركة الجهاد تحديدًا لتنقض على حماس؛ أثناء القتال؛ كما خرج الحسين بن علي على الخليفة يزيد بن معاوية دون سبب شرعي. ولكن ما منع الخطة الإيرانية للمرة الثانية من التطبيق؛ وحشية الجيش الصهيوني في إبادة أهل غزة؛ مما أجبر جميع الفصائل والحركات على الاتحاد وعدم الشقاق؛ وبذلك أفسد الصهاينة خطتهم بأنفسهم مع عدوهم الحليف إيران اشليعية. وأجلت معركة الاصطدام بين حركة الجهاد وحماس لحين.

في هذه اللحظات بدأت لجان إلكترونية وحسابات مجهولة المصدر تدخل تنشي عملية افساد أخلاقي للنساء بغزة؛ بعلم الدولة الصهيونية وتنشر التشيع وحقيقة نجحوا لحد كبير بدعوى المساعدة وأمر السيسي باغلاق المعبر. ليقال أن مصر السنية تحاصر غزة؛ بينما إيران الشيعية بتدافع عن غزة. ولما بدأت المظاهرات تشتد ضد السيسي هو وملك الأردن؛ فكروا في مساعدات الطيران بإلقائها على أهل غزة؛ على أن يكون الطياريين لهذه الطائرات إسرائيليين. كما انتشرت المسلسلات اللادينية المدبلجة عن الحب والعشق والغرام بشكل غير طبيعي عن الأيام العادية بفضل دويلة الإمارات بين أهل غزة؛ فكانت النتائج لحرب غزة على الصعيدين الدولي والمحلي:

1- تدمير البنية التحتية في غزة.
2- تغلغل التشيع السياسي والعقدي بين أبناء أهل السنة في غزة وبخاصة عبر أغاني اللطميات الشيعية وجمعية أم الصابرين الشيعية.
3- غسل وجه إيران بعد جرائمها في حق أهل السنة بالهلال الخصيب واليمن.

4- تمكن الحوثي من إحكام قبضته على الشمال اليمني بحجة مساعدة غزة. بصواريخ خشبية فارغة من الرؤوس المتفجرة. فأتت القوى الدولية والكيان فحطموا الجيش السني المتقدم من عدن لصنعاء لتحريرها؛ وصوروا مذبحة أهل السنة بأنها ضربات للحوثي؛ بينما هو في الحقيقة متفق معهم.

5- أسقط الصهاينة حلفيهم بشار الوحش. ودمروا حزب الله الإيراني الشيعي اللبناني دون أن يقصدوا.

6- ركز الغرب على دعم الدولة الصهيونية؛ مما مكن روسيا من ضرب كييف العاصمة الأوكرانية.

7- استغلت تركيا الفرصة ووحدت الفصائل السنية في جبهة تحرير الشام وحررت سوريا.

8- دخلت لبنان تحت الوصاية الصهيوأمريكية لمدة مائة عام بقيادة نصرانية كاثوليكية متعصبة.

9- أرتفعت الرواح المعنوية لأهل السنة في لبنان بتحرير سوريا. وبدأوا يلعنون حزب الله الإيراني الشيعي وقادته علنًا؛ وذهب أهل طرابلس لسوريا ليتسلحوا للدفاع عن أنفسهم؛ وعادت سوريا السنية لتحميهم من جديد.

10- تقدمت دولة الكيان الصهيوني في جنوب سوريا وبدأت تدعم الدروز الشيعة الباطنية على التمرد؛ لكنها لم تستطع التقدم لدمشق؛ بسبب تهديد خاقان فيدان وزير الخارجية التركي لهم:" *بأن دمشق خطًا أحمرًا"* . مما يعد بمثابة إعلان حرب على تركيا.

11- كسر مكانة حماس في النفوس؛ وما لم يأخذ بالحرب سيأخذ بالسلم. وبدأ الاضطراب السلوكي مضاعفًا عن أيام الحرب الأولى في غزة.

12- كثير من أهل غزة أصبح يفكر في الهرب؛ كي لا يبقى تحت رحمة تصرفات إيران وحماس والجهاد المدمرة.

13- أن حرب غزة وضعت بذرة الحرب الأهلية داخل الدولة الصهيونية بين اليسار واليمين الديني اليهودي المتطرف.

14- كشفت أسماء الصحافيين والإعلاميين الفلسطنيين الشيعة؛ وعناوينهم على وسائل التواصل الاجتماعي.

15-كشفت العلاقة بين التيار الشيوعي الفلسطيني والتيار الشيعي الصفوي الإيراني.

16-نقلت دائرة المفاوضات بين حماس والدولة الصهيونية للقاهرة بمصر والدوحة بقطر؛ بدلاً من طهران الإيرانية فعادات القضية عربية إسلامية سنية؛ لا قضية شيعية من جديد.

17- كما ساعدت حرب غزة في نشر الإسلام السني في صفوف الأوروبيين؛ وتغير الصورة الذهنية عن المسلم الملتحي في عقول كثير من الشعوب الغربية.

18- كشفت حرب غزة حقيقة عقيدة الخوارج الإباضية في عمان الذين تلفحوا بالتقية سنين؛ حيث خرجوا يلعنون الثوار ويرفضون تحرير سوريا؛ بينما ألتزموا الصمت ناحية إبادة أهل غزة؛ وفتحوا مصانع للصهاينة لديهم بمسقط.

19- منهجية حرب المدن والأنفاق التي استخدمتها حماس نتج عنها؛ تغير مجريات مسير الحروب في المدن باستخدام سياسة الأنفاق. لأن الغرب بحاجة إلى مثل هذا النوع من أنفاق المعارك في حربه القادمة ضد الجيش الصيني البري. غير أن حماس قصرت في تخطيط عمران مدينة غزة؛ حيث لم توفر للمدنيين تخطيط عمراني نفقي موازي يحفظ أرواحهم على غرار تخطيط مدينة رشيد في مصر. ففي أثناء حملة قائد الجيوش الإنجليزية ويلسون ونائبه فريزر على مصر سنة 1820م؛ حيث استغل علي بك السلانكي العمارة والعمران الإسلامي في اخفاء أهل رشيد من النساء والأطفال والرجال عن أعين مخابرات الإنجليز قبيل المعركة عبر فكرة المدينة الأرضية الموازية المتعاكسة عن المدينة السطحية الظاهرة بظاهر الأرض.

20- بدأ الرئيس الأمريكي الجديد ترامب ينظر إلى غزة؛ نظرة المستثمر؛ وبخاصة بسبب موقعها المتميز؛ وبدا عليه رغبته في المشاركة في اعمار غزة لصالح أمريكا؛ لا لصالح الكيان الصهيوني؛ ولكنه لم يتخذ القرار بعد؛ وهذا ما يبدوا من تصريحاته الأخيرة. فبترول غزة وغازها وثروتها السمكية وموقعها الإستراتيجي يسيل اللعاب.

21- استغلال السيسي الموقف مع إبراهيم العرجاني قائد المليشيا الجديدة (التي أسسها السيسي بسيناء على غرار مليشيا الرئيس السوداني عمر البشير بقيادة حميدتي لحفظ كرسيه إذا أنقلب عليه الجيش وثار الشعب) الوضع الإنساني في غزة فمنعوا استيراد المنازل الخشبية المتحركة ومنعوا دخول المتبرع به منها؛ ليخنقوا الشعب المسلم في غزة؛ وأقروا سعرًا لها

مضاعفًا فبدلاً من شرائها 1600 دولار جعلوا ثمنها بـ10500دولار. وللإثارة الفتنة بين الشعبين المسلمين العربيين المصري والفلسطيني.
22- بدأت امريكا تنظر إلى حماس رغم كرهها لها أنها هي من ستحمي الإمارات (على الرغم من عمالة الإمارات ضد حماس) ومضيق دار السلام (هرمز) بالخليج العربي مع حكومة سوريا عند زحف الجيش الصيني الشيوعي البوذي في الحرب العالمية الثالثة.
23- جعلت صفقة وقف إطلاق النار أهل غزة وحركة حماس في موقف الحياد عن نصرة فلسطيني مدن الضفة الغربية (جنين ونابلس وقلقيلية ومخيم بلاطة) والقدس؛ وبخاصة بعد تخالف السلطة الفلسطينية في فتح مع جيش الاحتلال ضد مدينية جنين.
24- تخطيط نتنياهو للحرب الأهلية بين الفلسطنيين بعضهم البعض عبر جعل سلطة محمود عباس أبو مازن البهائي العقيدة الإيراني الأصل المجنس فلسطينيًا من قبل المغتال سمًا ياسر عرفات؛ حيث تقوم السلطة بقتل المقاومين في الضفة ونزع سلاحهم لصالح الدولة الصهيونية؛ ثم تقوم الدولة الصهيونية بالدخول للإجهاز على الفلسطنيين العزل.
25- جرى التقدير الإلهي بأن قدر المولى سبحانه وتعالى بأن يغتر نتنياهو بقوته ويعاند الداخل الإسرائيلي وأمريكا وقطر ومصر والأردن في أن تسلم حماس السلطة بقطاع غزة إلى جهة مستقلة أو أن تحل السلطة الفلسطينية محل حماس في قيادة غزة؛ إلا أن نتنياهو بعد قبول حماس تسليم السلطة لجهة مستقلة في المفاوضات قبل الأخيرة؛ رفض قائلاً: *" لن تتسلم السلطة الفلسطينية ولا أي جهة أخرى الحكم في قطاع غزة؛ لأنه لا فرق لدي بين الإسلامي الفلسطيني واللاديني الفلسطيني كلاهما وجهان لعملة واحدة"؛* مما نتج عنه تغير حماس لموقفها واستمرارها في حكم قطاع غزة الآن.
26- ارتفاع الروح المعنوية للعالم الإسلامي وبخاصة في المنطقة العربية؛ وانخفاض الروح المعنوية للعالم الشيعي؛ فصمود حماس السنية على مدار سنة وربع رغم قلة عددها وعدتها؛ أمام أقوى أجهزة مخابرات العالم والعدو الصهيوني والآلة العسكرية الأمريكية المدمرة؛ بينما هزيمة حزب الله الشيعي في أقل من شهر على الرقم من كثرة أعداده عن حدد حماس ووفرة سلاحه الروسي والإيراني المتنوع؛ جعل الجميع يتسائل عن أثر العقيدة ومدى صحتها في النصر.
27- ثورة الداخل اللبناني على حزب الله سواء من قبل النصارى أو الدروز أو من قبل أهل السنة؛ ورعب النصيرية والشيعة اللبنانيين من الإنتقام منهم جراء مجازرهم في طوائف المجتمع اللبناني المختلفة؛ مثل اغتيال حسن نصر الله مع بشار الأسد لرأس أهل السنة في الحكم رفيق الحريري وتفكيك جهاز أمان السني الذي كان يعمل ككجهاز مخابرات للدولة اللبنانية وأفشل كثير من اغتيالات حزب الله وبشار لكثير من قادة لبنان من مختلف الطوائف؛ واسقاط آخر رئيس وزراء سني منتخب من قبل أهل السنة فؤاد السنيورة عام 2006م بحصار حزب الله له ولحكومته على مدار أشهر كي يسلموا حكم انتخاب رئيس الوزراء السني للشيعة أولاً وللنصارى والدرز ثانيًا؛ بمعنى آخر أن يتفق النشيعة والنصارى والدرز على اختيار رئيس وزراء سني يكون موالي لهم؛ لا لأهل السنة؛ دون انتخاب جمهور أهل السنة له في لبنان.
28- وقد بلغت خسائر إسرائيل في حرب غزة حسب ما نشره د.سام يوسف Dr.Sam Youssef Ph.D.M.S. على صفحه الخاصة بموقع التغريد أكس نقلاً عن اللواء الركن عبدالله شديفات نائب هيئة أركان الجيش الأردني السابق: *" بلغت خسائر إسرائيل في حرب غزة الأخيرة والتي دفعت نتنياهو بقبول المفاوضات مع حماس 14500 ضابط وجندي قتيل منذ 7 أكتوبر 2023م وحتى الآن. وأكثر من 45600 ألف جريح منهم ما يقارب من 15000 مبتوري الأطراف".* استنادًا لتقارير استخباراتية أمريكية قدمت للرئيس الأمريكي السابق بايدن. وهذا خلافًا لما ينشره الجيش الإسرائيلي لمنع تقليب الرأي العام الداخلي عليه. حيث نشر الجيش الإسرائيلي وفقًا للبيانات المتاحة حتى نهاية عام 2024: *" عن مقتل 891 جنديًا وإصابة أكثر من 5500 آخرين منذ بداية الحرب في 7 أكتوبر 2023 من بين هؤلاء القتلى، سقط أكثر من 500 في حوادث خلال الأعمال العسكرية مثل حوادث الطرق، ويُشتبه في أن 17 منهم انتحروا " .*
29- وحسب ما نشر بقناة الجزيرة القطرية بصفحتها الرسمية فقد: *"قتلت إسرائيل منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023 ما لا يقل عن 46 ألفا و707 فلسطينيين، وأصابت 110 آلاف و265 آخرين، أي ما معدله 100 شهيد فلسطيني يوميًا على مدار أيام الحرب الـ467 الماضية.ويقدر عدد سكان قطاع غزة بحوالي 2.3 مليون نسمة، نصفهم من الأطفال. مما يعني أن عدد هؤلاء السكان انخفض بنسبة 6% منذ بدء الحرب وتشير الأرقام إلى أن إسرائيل قتلت على مدار 15 شهرا من الحرب اثنين من كل مئة مواطن من سكان القطاع. كما أن هنالك 11 ألفا و160 فلسطينيا ما زالوا في عداد المفقودين، أي أن هنالك شخصا واحدا من كل مئتين ما زال مصيره مجهولا، وقد دُفن العديد منهم تحت أكثر من 42 مليون طن من الأنقاض، وغادر 100 ألف فلسطيني غزة كما نزح حوالي 9 من كل 10 من سكان غزة، واضطر الكثير منهم إلى النزوح عدة مرات منذ بدء الحرب." ...* وهناك نتائج أخرى لآثار حرب طوفان الأقصى - غزة سوف تتكشف مع الزمن.
وختامًا؛ لا يجيب أن ننظر إلى الواقع والحروب بأنها أتت فجأة؛ بل علينا أن ننظر إلى المقدمات ونعالجها في المهد؛ قبل أن تبدأ الحرب أوتتسع رقعتها؛ وتزهق الأرواح. لهذا علينا أن نهتم بدراسات الحركات الدينية الشيعية الباطنية والتيارات الشيوعية والتيارات الفكرية اللادينية المعاصرة؛ وطريقة تغلغلها في المجتمعات والحركات المسلمة السنية. فعلينا أن نفهم

عقيدة ودين وتاريخ من يساعدنا؛ وما غرضه من هذه المساعدة؟! كذلك علينا بتأسيس المراكز الإرشادية لأبناء المجتمع المسلم؛ كي لا يكونوا فريسة للأهواء والعقائد الباطلة؛ بمعنى آخر تحصين أبناء المجتمعات السنية؛ بخاصة الفتيات والأطفال؛ كذلك الاهتمام بالجانب الإعلامي وعلوم النفس الإجتماعية وما بين التاريخ والواقع؛ لخطورتها. علينا أن نرجع دور المسجد دون الانتماءات السياسية والمذهبية الحزبية. إن حرب غزة وما نتج عنها؛ وما حدث فيها؛ درس عميق كحرب سوريا. فهل نستفيد من تلك الدروس المعاصرة؟!!!

2.عائلة الأسد الباطنية؛ من الهوية الدينية والثقافية إلى السلطة السياسية

عائلة الأسد أصبحت واحدة من أقوى الشخصيات السياسية في سوريا منذ القرن العشرين. ومع ذلك، تُعرف هذه العائلة بقسوتها تجاه المسلمين. فمن هي عائلة الأسد؟ ولماذا توصف بهذا القدر من الظلم؟ تُعزى أصول هذه العائلة إلى الباطنية في سوريا، وهو ارتباط تطور عبر عملية تاريخية معقدة. في هذا المقال، سيتم تناول تاريخ الباطنية في سوريا وعلاقتها بتعاليم وممارسات عائلة الأسد.

1.2.ما هي الباطنية؟

الباطنية هي نظام اعتقادي يُنسب عادة إلى المذهب الشيعي، ولكنه يقدم أيضًا تعاليم عميقة وغامضة. يعتقد أتباع الباطنية بوجود معانٍ خفية وعميقة تتجاوز الظاهر. على مر التاريخ، ارتبطت الباطنية بجماعات مثل الإسماعيليين العبيدية الفاطميين والحشاشين، خاصة في القرن 4 هـ/10 م. عندما غزا الفاطميون مصر، أصبحت الباطنية مركزية في حكمهم. لم تكن الباطنية مجرد حركة دينية، بل كانت قوة سياسية أيضًا، اشتهرت بأعمال الاغتيالات والأنشطة السرية.

2.2.أصول عائلة الأسد

تنحدر عائلة الأسد من المجتمع العلوي في سوريا، وهو مذهب شيعي يتمركز بشكل رئيس في شمال غرب سوريا، في محافظات حماة، اللاذقية، وطرطوس. يتميز هذا المذهب بمعتقدات غريبة وطقوس خاصة وتعاليم باطنية. تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن أصول عائلة الأسد تعود إلى القرن 8هـ/14 م. خلال تلك الفترة، أثرت الحروب السورية للسلطان المغولي محمود غازان على المجتمعات المحلية. بعد فشل المغول عسكريًا في المنطقة العربية الإسلامية، تم توطين مجموعات باطنية-شيعية ذات أصول فارسية على طول الساحل السوري (شيعة كسروان). هذه المجموعات، مع مرور الوقت، تعربت وشكلت أساس المجتمع النصيري العلوي الحالي. في نفس الفترة، حارب السلطان المملوكي السني الناصر محمد بن قلاوون بدعم من الإمام ابن تيمية الحراني المغول الإيلخان الباطنية، ولقد حذر الإمام ابن تيمية من خطورة هذه المجموعات الباطنية من شيعة كسروان المستوطنة بالساحل على الإسلام وأهله وحاربهم وأفتى بضرورة استئصالهم. غير أنه لم يستطع استكمال مشروعه بتحرير الساحل السوري منهم؛ بسبب توفيه في سجن قلعة دمشق؛ بسبب وشاية بعض الطرق الباطنية المتوشحة بلباس التصوف ضده.

3.2.عائلة الأسد في القرن العشرين

في القرن العشرين، كان جد عائلة الأسد، سليمان الوحش، نشطًا كجاسوس خلال فترة الإحتلال الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى. تشير الادعاءات إلى أن سليمان الوحش عمل لصالح فرنسا الاستعمارية، وأعلن نفسه إلهًا، مما أدى إلى إعدامه من قِبل حكومة الاستقلال السورية فيما بعد. في فترة الانتداب الفرنسي، تم تغيير اسم الجماعات النصيرية-الشيعية ذات الأصول الفارسية إلى اسم "العلويين"، بهدف تسهيل اختراق المجتمع السني في سوريا. كما غيّر المسؤولون الفرنسيون اسم عائلة الأسد من "الوحش" إلى "الأسد."

هذا التاريخ يلقي الضوء على الجذور الثقافية والدينية لعائلة الأسد، وارتباطها بالباطنية، وكيفية تطور نفوذها من خلال المزج بين الدين والسياسة، مما أدى إلى تعزيز سلطتها في سوريا.

4.4.عائلة الأسد في سُدة الحكم بسوريا

نجحت عائلة الأسد في سوريا الجديدة في الحفاظ على سماتها المعروفة بطائعها الخبيث، المستلهمة من الباطنيين، رغم كونها أقلية مذهبية، وتمكنت من زعزعة استقرار البلاد. وبين عامي 1960 و1967، ارتفعت بسرعة في سلم السلطة والجيش بدعم من الولايات المتحدة. في عام 1963، جاء حزب البعث إلى السلطة في دمشق من خلال انقلاب عسكري. خلال فترة الاحتلال الفرنسي لسوريا، تم إدخال النصيرية العلويين بشكل كبير في وحدة عسكرية تدعى حزب التحالف العربي القومي البعثي الإشتراكي وقد مكنهم ذلك، رغم كونهم يشكلون فقط 1% من سكان سوريا، من الحصول على غالبية بين الضباط الشباب. بعد الانقلاب مباشرة، أعادت اللجنة العسكرية البعثية تشكيل الجيش، حيث استبدلت 90% من الضباط المسلمين السنة بالنصيرية العلويين، مما حول القوات المسلحة السورية إلى قوة مذهبية من خلال عمليات تصفية.

حافظ الأسد، الذي صعد بسرعة في الرتب، أصبح أولاً قائد القوات الجوية، ثم وزير الدفاع. وعين شقيقه رفعت الأسد في مناصب رفيعة، وقام بتطوير هيكل إيديولوجي داخل الجيش يضمن ولاءً مطلقاً له. كما قال بنفسه، أنه عليه أن "يخلق جيشاً عقائديا باطنيًا."

أدى انقلاب البعث إلى صعود النظام البعثي الذي سيطر على جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والدينية في سوريا من خلال القمع الوحشي وإرهاب الدولة. ونجح هذا النظام، الذي نشأ من مجموعة نصيرية علوية-شيعية، في تبني القومية العربية المتصاعدة في تلك الفترة؛ وفرض سيطرته على الحكم في سوريا من خلالها. في عام 1966، قاد ضباط نصيريون علويون انقلاباً عسكرياً داخل الجيش، وأطلقوا عليها اسم "الحركة التصحيحية". ضمت قيادات الحركة شخصيات نصيرية علوية مثل محمد عمران، صلاح جديد، سليمان حداد، حافظ الأسد، رشيد قطاينة، محمد الصوفي، وزياد الحريري. ومع ذلك، تم تعيين نور الدين الأتاسي، وهو سني ضعيف، رئيساً للدولة في خطوة رمزية.

كانت نقطة التحول في مسيرة حافظ الأسد خلال حرب الأيام الستة ضد إسرائيل، حيث خسر الجيش السوري تحت قيادته مرتفعات الجولان لصالح إسرائيل. ولكن هناك تصريح لرئيس المخابرات المصرية زمن الرئيس السادات مذاع بالتلفاز المصري عام 2011م صرح فيه:" بأن حافظ الأسد باع الجولان للكيان الصهيوني مقابل 50 مليون دولار وكان سمسار البيع في ذلك أخيه رفعت الأسد؛ مقال أن يساعد الصهاينة حافظ الأسد على تولى حكم سوريا". ولقد أدى ضياع مرتفعات هضبة الجولان إلى استياء كبير داخل حزب البعث، حيث طالب العديد من الأعضاء البارزين من منافسي حافظ الأسد في الحزب باستقالة الأسد. حتى أنه تم القيام بمحاولات لإبعاده عن أعلى هيئة اتخاذ القرار في الحزب، وهي القيادة القطرية. ومع ذلك، تمكن حافظ الأسد من التلاعب بمعارضيه بمهارة، واستطاع إقصاء جميع منافسيه، وبحلول نوفمبر 1970، أصبح الزعيم غير المنازع في سوريا.

4.2.فترة حكم عائلة الأسد

بعد وصول حافظ الأسد إلى السلطة، أنشأ جهاز أمني يعتمد بشكل كبير على الروابط العائلية ويهيمن عليه العلويون. تم تسليم المناصب الحساسة في القوات المسلحة إلى أقاربه بناءً على الولاء. على سبيل المثال، كان شقيقه رفعت الأسد يسيطر على وحدات مكافحة التمرد، وكان صهره عدنان مخلوف يشغل منصب قائد الحرس الرئاسي؛ وكان بمثابة الرجل الثاني في نظام حافظ الأسد. أدى هذا النهج المعتمد على الروابط العائلية إلى سيطرة المحسوبية بدلاً من الكفاءة في التعيينات والترقيات. وهكذا، نشأت طبقة من النخبة العلوية المبنية على الولاء الطائفي. ولكن هذه المحسوبية الطائفية أدت إلى إقصاء الأغلبية السنية في سوريا؛ مما خلق حالة من الاستياء العميق. وفي مواجهة هذه الأزمة، اقترب نظام حافظ الأسد بشكل متزايد من إيران ذات الأغلبية الشيعية.

4.2.الباطنيون المعاصرون وعائلة الأسد

بينما كان حافظ الأسد يرسخ سلطانه لنفسه ولعائلته من خلال إرث سيستمر لمدة 54 عامًا، فقد تطابق نظامه في تشابهه اللافت مع الباطنيين التاريخيين الذين يشكلون الأسلاف العقائديين للنصريين العلويين الذي ينتمي إليهم. لقد أثر الفكر الباطني بشكل عميق في الهياكل الدينية والثقافية والسياسية على حد سواء. قام نظام حافظ الأسد بدمج عناصر من المعتقدات الباطنية العلوية في جهاز الدولة، محولًا هذه التعاليم الغامضة إلى أدوات للإدارة. مثلما كان الباطنيون عبر التاريخ يخفون معتقداتهم وراء ستار من السرية، فإن ادعاءات عائلة الأسد الدينية كانت أيضًا غامضة وغير واضحة. على الرغم من ادعائهم بأنهم مسلمون، إلا أن ممارساتهم غالبًا ما كانت تتناقض مع الإسلام.

على مر التاريخ، اشتهر الباطنيون بقتلهم المسلمين بوحشية وتحالفاتهم الخفية مع الصليبيين. وقد خانوا العالم الإسلامي من خلال تحالفاتهم مع الصليبيين الفاطميين في صراعاتهم ضد العباسيين، السلاجقة السنة، الزنكيين الأتابكة والأيوبيين. واليوم، تمثل عائلة الأسد الصورة الحديثة لهذا الخط الخياني.

خلال فترة رئاسة حافظ الأسد، أسفرت مجزرة حماة الشهيرة في عام 1982، التي قادها شقيقه العميد رفعت الأسد، عن مقتل ما يزيد من 40,000 مسلم سني بوحشية. كشفت هذه المجزرة بوضوح عن عداء عائلة الأسد للمسلمين. لكن القمع لم يتوقف هنا؛ فقد استمر ابنه بشار الأسد في نهج وقتل اثنين مليون ونصف المليون من المسلمين السنة خلال الثورة السورية. أدى هذا الظلم إلى واحدة من أكبر الأزمات في التاريخ الحديث، حيث جرى تهجير 12 مليون من المسلمين السوريين من أراضيهم.

التشابهات لا تقتصر على الأفكار العقائدية أو الظلم فحسب؛ فقد ارتبط الباطنيون في التاريخ باستخدام المخدرات، بينما أصبحت عائلة الأسد مشهورة بإنتاج وتهريب المخدرات. يعتبر المخدر المحفز "الكابتاغون" من أبرز مصادر دخل النظام وأصبح رمزًا لعمليات عائلة الأسد غير المشروعة. في عام 2022، فرض الاتحاد الأوروبي عقوبات على أقارب بشار الأسد وهم وسيم بديع الأسد، سامر كمال الأسد، ومدار رفيق الأسد، بسبب تورطهم في تهريب الكابتاغون. وفقًا لتقارير وزارة الخزانة الأمريكية في عام 2020، كان سامر كمال الأسد يدير مصنعًا لإنتاج المخدرات في اللاذقية ينتج 84 مليون حبة مخدرة سنويًا. لذلك، لم يكن مفاجئًا أن يتم الكشف عن مركز لإنتاج المخدرات في دمشق مؤخرًا، والذي كان مرتبطًا بشقيق بشار الأسد، ماهر الأسد. لأن تجارة المخدرات أصبحت مهنة عائلية للأسد، وقد تبعوا فيها سابقيهم من أجدادهم الباطنيين. ولكن الأكثر مرارة هو أن جزءًا كبيرًا من الكابتاغون المنتج من قبل نظام الأسد يدخل إلى دول الخليج، وخاصة المملكة العربية السعودية! إن استخدام هذه المخدرات لتسميم أجيال الشباب في العالم الإسلامي يكشف كيف أن النظام السوري البعثي النصيري يواصل خيانته للمسلمين؟!

وفي النهاية، يجب على العالم الإسلامي أن يدرك أن شرط الإسلام في وجوب أن يكون الحاكم الذي يحكم بلاد الإسلام مسلمًا صحيح العقيدة؛ هو صمام الأمان هو الذي يمنع وصول العصابات الباطنية إلى السلطة تحت اي مسمى قومي أو تحرري أو وطني مزيف، حيث أن هذه العصابات إن تمكنت من بلاد الإسلام فإنها تدمر البلاد والعباد. فهل يمكننا أن نتعلم درسًا من تاريخ مجازر الباطنية النصيرية في سوريا المعاصرة؟

3.التمثيل الدرامي للهوية المصرية في مسلسل "عمرو بن العاص" (1983م) ومقارنته بمسلسل "رجل الأقدار (2003م) "

3.مقدمة

تُعد الدراما التاريخية إحدى أهم أدوات تشكيل الوعي الجمعي في العالم العربي، فهي لا تكتفي بسرد الماضي، بل تعيد صياغته وفق منظورٍ ثقافي وسياسي يعكس اتجاهات العصر. ومن بين أبرز الأعمال التي تناولت التاريخ الإسلامي في مصر، يبرز مسلسل *عمرو بن العاص* (1983م) إنتاج شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات، ومسلسل *رجل الأقدار* (2003م) من إنتاج الشركة المصرية لمدينة الإنتاج الإعلامي. ورغم اشتراك العملين في تناول سيرة الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، فإن الفارق بينهما جوهري من حيث الرؤية والمنهج في قراءة التاريخ الإسلامي وموقع مصر ضمنه.

1.3.المسلسل الأول: "عمرو بن العاص" ورؤية الهوية الأصيلة

أُنتج المسلسل عام 1983م ببطولة مجدي وهبة، شكري سرحان، ومحمود المليجي، ويُعد من أدقّ الأعمال التي تناولت الفتح الإسلامي لمصر. ورغم محدودية الإمكانات التقنية حينها، فإنه تميّز بعمق الطرح ودقة التوثيق التاريخي، مقدّمًا قراءة واعية للعلاقة بين المصريين الوثنيين والأقباط. قدّم المسلسل ثنائية واضحة بين **المصري الوثني** و**القبطي**، موضحًا أن الأقباط لم يكونوا عموم المصريين بل فئة اعتنقت النصرانية تحت التأثير البيزنطي، في حين ظل المصريون الأصليون على وثنيتهم إلى أن جاء الإسلام فحررهم من التبعية السياسية والروحية.

في **الحلقة الأولى** تظهر إشارة لافتة حين يقال إن "المصريين أخوال العرب العدنانيين"، وهي إشارة رمزية إلى عمق الصلة التاريخية والأنسابية بين العرب والمصريين قبل الإسلام. وفي **الدقيقة 23:28 من الحلقة الثالثة** يقول "يحيى بن آسافير" القبطي أمام عمرو بن العاص:

"القيصر هرقل سيتصالح مع الأقباط بمصر والشام"،وهي عبارة تلخّص تحالف الجاليات اليونانية والنصرانية داخل مصر مع الإمبراطورية البيزنطية لمواجهة الفرس، وتكشف في الوقت نفسه انقسام المجتمع المصري قبل الإسلام بين عناصر وثنية ويونانية وقبطية متصارعة.

أما في **الحلقة السابعة عشرة في الدقيقة 29:20** فيعرض المسلسل مشهدًا اجتماعيًا بالغ الأهمية، إذ يتحدث "آسافير" المصري عن عزوف قومه عن الإنجاب وتناقص عددهم أمام الروم والأقباط، في دلالة على التراجع الديموغرافي للمصريين الوثنيين الأصليين. كما يُبرز المشهد المقوقس اليعقوبي القوقازي الموالي للرومان الملكانيين بوصفه ممثلًا للسلطة الدينية الدخيلة على مصر.

وفي **الحلقة الخامسة والعشرين في الدقيقة 13:37** يظهر مشهدٌ مؤثر يدعو فيه أحد أعوان عمرو بن العاص "يحيى بن آسافير" إلى الإسلام، مستخرجًا له دلائل نبوّة النبي ﷺ من التوراة والإنجيل، فيُسلم يحيى، فيتحوّل بذلك إلى رمزٍ لاعتناق المصريين الأصليين للإسلام واندماجهم في الأمة الجديدة.

كما عرض المسلسل مشهدًا نادرًا عن التصاهر بين الرومان والمصريين الوثنيين، من خلال زواج جندي بيزنطي بمصرية وثنية، في إشارة إلى اختلاط الأنساب وتداخل الهويات قبل الإسلام، مما يجعل الفتح الإسلامي لحظة إعادة بناء للهوية لا غزوا سياسيًا.

وفي الحلقتين الأخيرتين **29**و**30** يصوّر العمل استعراب مصر الكامل واندماجها في الثقافة الإسلامية العربية، حيث يتعلم المصريون اللغة العربية ويتحولون تدريجيًا من الوثنية إلى التوحيد.

2.3.المسلسل الثاني: "رجل الأقدار" وتشويه الوعي التاريخي

في المقابل، قدّم مسلسل *رجل الأقدار* (2003م) قصة توفيق الحكيم بطولة الممثل الشيعي الإسماعيلي الماركسي نور الشريف، في إنتاج ضخم من الشركة المصرية لمدينة الإنتاج الإعلامي. غير أن هذا العمل جاء منحرفًا عن التوثيق التاريخي، مقدّمًا رؤية ذات نزعة باطنية تعيد تفسير التاريخ الإسلامي من زاويةٍ ماديةٍ صِرفة. ففي حين يصوّر *عمرو بن العاص - رضي الله عنه -* الإسلام باعتباره مشروعًا تحريريًا حضاريًا، يُقدّم *رجل الأقدار* الفتح الإسلامي على أنه **غزو سياسي مصلحي**، ويجعل من شخصية عمرو بن العاص رمزًا للدهاء النفعي لا للحكمة والعدل. بذلك تحوّل النص من توثيق للتاريخ إلى **إعادة إنتاج لخطاب استشراقي** يُشوّه الصحابة ويُفرّغ الرسالة الإسلامية من بعدها الروحي.

3.3.الدراما بين الوعي والتزييف

يعكس الفرق بين المسلسلين التباين العميق في الخطاب الثقافي بين حقبتين:

- ففي الثمانينيات، كانت الدراما التاريخية تميل إلى **الوعي الهويّاتي والإيماني**، وتسعى لترسيخ صورة الإسلام كقوة توحيدٍ بين العرب والمصريين.
- أما في الألفية الجديدة، فقد خضعت الدراما لمنظورٍ حداثي متأثر بالمناهج الغربية، يقدّم التاريخ الإسلامي في ثوبٍ رمادي يُضعف الإيمان ويشكّك في الرموز الدينية.

4.3.خاتمة

يمثل مسلسل *عمرو بن العاص* وثيقة درامية نادرة تبرهن على أن الدراما يمكن أن تكون أداة وعي حضاري، فيما يمثل *رجل الأقدار* نموذجًا مضادًا لتحويل الفن إلى وسيلة تشويه ثقافي. إن دراسة هذه الأعمال لا تُعنى بالتاريخ الفني فحسب، بل بكشف **كيف تُدار الذاكرة الجماعية من خلال الصورة**، وكيف يمكن للمسلسل أن يصبح ساحةً للصراع بين الإيمان والتزييف، بين الهوية والاستلاب. وبذلك يبقى مسلسل *عمرو بن العاص (1983م)* علامة مضيئة في تاريخ الدراما العربية، لأنه أول عملٍ قدّم الإسلام بوصفه رسالة تحريرٍ للإنسان والتاريخ معًا.

4.المدرسة الحنفية بين مدرسة أهل الحديث والرأي الأولى، والمدرسة الحنفية الكلامية الماتريدية الثانية، والأشعرية؛ قراءة رصدية في تطورها الفكري والتاريخي

1.4.مقدمة

تسعى هذه الدراسة إلى رصد التطور الفكري والتاريخي للمدرسة الحنفية عبر مراحلها المختلفة، مع التمييز بين طورها الأول الذي تشكل في بيئة فقهية حديثية رأيية، وبين طورها الكلامي اللاحق الذي تبلور بصورة أوضح في المدرسة الماتريدية داخل المجال الحنفي، ثم ما اتصل بعد ذلك بعلاقات بعض البيئات الحنفية بالأشعرية. ومن ثم فإن هذه الدراسة لا تنطلق من فرضية انتساب الحنفية في أصلها إلى الماتريدية أو الأشعرية، بل من تتبع المسار المعاكس، أي: كيف انتسبت الماتريدية، ثم بعض الصور الأشعرية لاحقًا، إلى المدرسة الحنفية في سياقات تاريخية وعلمية متعاقبة.

ويبدأ المقال ببيان الأصل العقدي والمنهجي عند الإمام أبي حنيفة، ثم يعرض أثر تلامذته في بناء المدرسة الحنفية الأولى، ويحلل موقع الرأي فيها بوصفه أداة فقهية اجتهادية منضبطة، قبل أن ينتقل إلى إعادة قراءة موقف بعض المحدّثين من أهل الرأي، ثم يرصد التحول من الحنفية الأولى إلى الحنفية الكلامية الثانية، ويفحص تاريخ انتساب الماتريدية إلى المدرسة الحنفية، ثم انتساب الأشعرية إلى بعض بيئاتها.

2.4. الإمام أبو حنيفة والعقيدة في الطور الحنفي الأول

وُلد الإمام أبو حنيفة النعمان سنة 75هـ، وتوفي سنة 150هـ، وهو من أبرز أئمة الفقه في الإسلام، ومن كبار المؤسسين للمدارس الاجتهادية التي تركت أثرًا واسعًا في تاريخ التشريع الإسلامي. وتكشف القراءة المبكرة لصورة الإمام العقدية، بحسب مادة هذا المقال، عن انتسابه إلى عقيدة أهل الحديث، مع أثر خاص في مسألة الإرجاء المتصلة بالخروج على الحاكم، وهو ما يمكن فهمه في سياق ما شهده من مجازر للمسلمين عقب سقوط الخلافة الأموية على يد العباسيين سنة 132هـ.

غير أن الإشكال الذي وقع لاحقًا جاء من جهة اختلاط بعض الروايات المنسوبة إلى الإمام في مسائل الاعتقاد، ولا سيما ما نُسب إليه في بعض روايات كتاب *الفقه الأكبر* .وتفيد مادة المقال أن الحذر لازم في التعامل مع الروايات التي جاءت من طريق حماد بن أبي حنيفة وصديقه أبي المطيع البلخي، في مقابل ترجيح الروايات التي تنقل أصول الاعتقاد عن طريق القاضي أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني. ومن ثم فإن عدم التمييز بين هذه الطبقات الروائية قد أفضى، في بعض الطبعات المتأخرة، إلى نسبة أقوال إلى الإمام لا يثبت إسنادها إليه على وجه التحقيق.

ومن هنا فإن فهم المدرسة الحنفية في طورها الأول يقتضي التمييز بين ما هو ثابت عن الإمام أبي حنيفة، وما هو من إضافات الرواة أو التحولات المدرسية اللاحقة، لأن هذا التمييز يمثل مدخلًا ضروريًا لفهم البنية الأصلية للحنفية قبل انتقالها إلى طورها الكلامي اللاحق.

3.4. أثر التلامذة في تبلور المدرسة الحنفية الأولى

بعد وفاة الإمام أبي حنيفة سنة 150هـ، لم يبقَ المذهب الحنفي مجرد آراء متفرقة، بل أخذ يتبلور على يد كبار تلامذته، وخاصة القاضي أبي يوسف والإمام محمد بن الحسن الشيباني. ومع هذا الجيل انتقلت الحنفية من مرحلة التكوين الفردي إلى مرحلة البناء المدرسي، والتدوين، والتفريع، وتكوين لغة أصولية وفقهية أكثر تماسكًا واتساعًا.

وتكشف مادة المقال عن تفاعل المدرسة الحنفية المبكر مع مدارس فقهية أخرى، ولا سيما المدرسة المالكية والشافعية. ويظهر ذلك في صلة أبي يوسف ومحمد بن الحسن بالموطأ، وفي الصورة التي يمثلها *موطأ محمد بن الحسن* من الجمع بين متون الإمام مالك والمعالجة الحنفية، مع المحافظة على استقلال النص المالكي عن الشرح الحنفي. كما يظهر الأثر المتبادل في توسط المدرسة الشافعية بين أهل الحديث وأهل الرأي، وفي قابلية المذاهب الفقهية للتفاعل المعرفي لا للانعزال الصارم.

وهكذا تبلورت المدرسة الحنفية الأولى بوصفها مدرسة اجتهادية مركبة، لها جذور حديثية واضحة، وفي الوقت نفسه تمتلك قدرة كبيرة على النظر والافتراض واستيعاب النوازل.

4.4. الأصول المؤسسة للمدرسة الحنفية

إذا انتقلنا من مرحلة النشأة إلى البنية الأصولية، اتضح أن المدرسة الحنفية قامت على أصول متماسكة، ولم تكن مجرد مدرسة تقوم على الرأي المجرد. فقد توسعت في فقه النوازل والفقه التقديري أو الافتراضي، أي فقه المسائل التي يتوقع وقوعها في المستقبل القريب أو البعيد، وهو ما يعكس نزعة اجتهادية استباقية في بنية المذهب الحنفي.

وقد تأسست المدرسة الحنفية على جملة من الأصول، في مقدمتها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف والعادة، والضرورة ورفع الحرج، ومقاصد الشريعة، واليقين الذي لا يزول بالشك، إلى جانب القواعد الكلية المعروفة مثل: المشقة تجلب التيسير، والضرر يزال، والعادة محكمة.

أما الاستحسان، الذي ارتبط اسمه بالحنفية أكثر من غيرهم، فلا ينبغي فهمه على أنه خروج عن النصوص أو تحكيم لمجرد الذوق، بل هو آلية اجتهادية منضبطة تروم العدول عن مقتضى قياس ظاهر إلى ما هو أقوى منه دليلًا أو أرفق بالناس أو أقرب إلى مقاصد الشريعة. ومن ثم فإن الرأي في البناء الحنفي لا يظهر خصمًا للنص، بل أداة لفهمه وتنزيله.

5.4. مفهوم الرأي في المدرسة الحنفية ومكانته العلمية

يُعد مفهوم الرأي من أكثر المفاهيم التي أُسيء فهمها عند الحديث عن المدرسة الحنفية. فالرأي عند الحنفية ليس مرادفًا للهوى، ولا معناه الاستغناء عن النصوص، بل هو النظر المنضبط في دلالات النصوص، ومعرفة علل الأحكام، وربط الجزئيات بالكليات، واستنباط الأحكام في الوقائع التي لم يرد فيها نص خاص. ولهذا ارتبط الرأي في المدرسة الحنفية بالفقه التقديري، وبالقدرة على بناء صور المسائل قبل وقوعها، وبالمزاوجة بين الرواية والدراية في آن واحد.

وقد عبّر علماء الحنفية عن هذا المعنى بوضوح. فذكر فخر الدين البزدوي أن أصحاب الرأي هم في حقيقتهم أصحاب الحديث والمعاني، وأن تسميتهم بذلك إنما جاءت لتميّزهم في الفقه وفهم المعاني، لا لتركهم السنة أو استبدالها بمجرد العقول. كما نُقل عن محمد بن الحسن قوله: "لا يستقيم الحديث إلا بالرأي، ولا يستقيم الرأي إلا بالحديث"، وهي عبارة شديدة الدلالة في تقرير العلاقة التكاملية بين الرواية والدراية. كما شرح علاء الدين البخاري هذا المعنى ببيان أن الحديث لا يستقيم إلا باستعمال الرأي في فهم معانيه الشرعية واستخراج مناطات الأحكام منه، كما أن الرأي لا يستقيم إلا إذا انضبط بالنصوص الحديثية.

ومن هنا فإن وصف الحنفية بأنهم *أهل رأي* لم يكن في أصله ذمًا لازمًا، بل وصفًا علميًا لطريقة مخصوصة في الفهم والاستنباط، غير أنه تحول في بعض البيئات الجدلية إلى أداة غمز مذهبي.

6.4. العمل بالرأي وأثره في الجرح والتعديل

تشير مادة المقال إلى أن محمد بن الحسن الشيباني قد غُمز بالعمل بالرأي، غير أن هذا الوصف في ذاته لا يصلح سببًا جارحًا للراوي ما دام متصفًا بالعدالة والضبط؛ لأن الاشتغال بالرأي لا يستلزم الإخلال بالأمانة في النقل، ولا يدل بذاته على ضعف الصدق أو التهاون في ألفاظ الحديث. فالعدل الورع لا يزيد في الحديث حرفًا ولا ينقصه، صيانة لدينه وحفظًا لمكانته العلمية.

والعمل بالرأي لم يكن خاصًا بالحنفية، بل عُرف عند عدد كبير من المحدّثين والفقهاء في المدينة والكوفة والبصرة وسائر الأمصار. ويكفي في ذلك ذكر ربيعة الرأي، الذي صار هذا الوصف ملازمًا لاسمه من غير أن يكون قدحًا في منزلته أو عدالته.

وتورد مادة المقال أمثلة على جرح بعض الثقات بسبب الرأي، مثل محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري، والوليد بن كثير المخزومي، ومعلّى بن منصور الرازي، مع بقاء توثيقهم قائمًا من جهة الرواية. كما تشير إلى أن بعض أئمة الحنابلة أنفسهم أعادوا النظر في دلالة هذه العبارات، فحملوا بعض أقوال الإمام أحمد في أهل الرأي على سياق الهجر أو الموقف المنهجي أو على أهل الأهواء من المتكلمين، لا على مطلق الفقهاء الذين يستعملون القياس والرأي في موضعه.

وفي هذا السياق، نبّه جمال الدين القاسمي إلى أن أصحاب الصحاح وغيرهم قد تجافوا كثيرًا عن الرواية عن أهل الرأي، فلا تكاد تجد أسماء مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن في الأسانيد المشهورة، مع أن ما أثر عنهما يدل على سعة علمهما وتقدمهما. كما صرح أحمد شاكر بأن أبا يوسف ثقة صدوق، وأن الكلام فيه

جاء بغير حق. ويؤكد هذا كله أن الجرح بالرأي ليس جرحًا مطلقًا معتبرًا في ذاته، بل يُنظر فيه بحسب طبيعة الرأي: أهو اجتهاد منضبط بالأصول، أم انحراف عنها؟
وتبرز أهمية تحرير ابن تيمية لمحل النزاع حين فرّق بين الرأي المذموم والرأي المشروع. فالرأي المذموم هو ما عارض الكتاب والسنة وآثار السلف، أو كان رأيًا مجردًا لا أصل له، أما الاجتهاد المبني على الأصول، في واقعة لم يرد فيها نص خاص، فذلك من صميم الفقه المشروع. ثم أكد أن أهل الكوفة كانوا من أكثر أهل الأمصار فقهًا وقياسًا، وأن فقههم مأخوذ عن كبار الصحابة، وأن ما وقع لبعضهم من مخالفات جزئية كان أحيانًا بسبب عدم بلوغ بعض السنن إليهم، وهو أمر لا يقدح في عدالتهم ولا في إمامتهم.
ومن هنا تنتهي هذه القراءة إلى أن العمل بالرأي، إذا كان منضبطًا بالأصول، لا يصلح أن يكون جرحًا مطلقًا في الراوي، وأن كثيرًا من الجرح الواقع به نشأ عن تضيق بعض المحدّثين بالمناهج الفقهية الاستنباطية، أو عن عصبيات مذهبية وتنافس علمي بين أهل الحديث وأهل الرأي.

7.4. من الحنفية الأولى إلى الحنفية الكلامية الثانية

إذا كانت المدرسة الحنفية الأولى قد تشكلت في سياق فقهي حديثي رأيي منضبط، فإن القرون اللاحقة شهدت تطورًا نوعيًا داخل المجال الحنفي، تمثل في نشوء طور كلامي أكثر انتظامًا، ارتبط لاحقًا باسم الماتريدية.
وهذا التحول لا يعني أن الماتريدية هي عين الحنفية الأولى، بل يفيد أن المجال الحنفي نفسه أنتج في مرحلة لاحقة مدرسة كلامية ثانية انتسبت إليه، واستندت إلى كثير من أطره الفقهية والمؤسسية.
ومن هنا فإن التمييز بين *المدرسة الحنفية الأولى* و*المدرسة الحنفية الكلامية الثانية* ليس مجرد اصطلاح، بل هو ضرورة تفسيرية لفهم التحولات التاريخية للمذهب، وعدم إسقاط صور متأخرة على طبقاته المبكرة.

8.4. انتساب الماتريدية إلى المدرسة الحنفية

يرصد المقال أن أبا منصور الماتريدي، المتوفى سنة 333هـ، كان رأسًا في المدرسة الكلامية الفقهية الحنفية الثانية في ما وراء النهر، وأن مدرسته نشأت داخل الوسط الحنفي هناك. وهذا معطى بالغ الأهمية؛ لأنه ينقل النقاش من السؤال الشائع: هل الحنفية ماتريدية؟ إلى السؤال الأدق تاريخيًا: كيف انتسبت الماتريدية إلى المدرسة الحنفية؟ وكيف تبلور هذا الانتساب داخلها؟
وفي القرن الرابع الهجري تبلور الارتباط بين الحنفية والماتريدية بوصفه ارتباطًا تكوينيًا مبكرًا، قبل الالتحاق الأشعري المتأخر نسبيًا بالمذهب الحنفي، وذلك لغلبة الاقتران العقدي الأشعري بالفقه الشافعي في كثير من البيئات. وقد أسهمت البيئة العلمية في سمرقند وما حولها في ترسيخ هذا الطور الكلامي الحنفي، فظهر ما يمكن تسميته بالحنفية الكلامية الماتريدية الثانية داخل المجال الحنفي نفسه.

9.4. انتساب الأشعرية إلى بعض البيئات الحنفية

إذا كانت الماتريدية قد نشأت داخل البيئة الحنفية في ما وراء النهر، فإن اتصال الأشعرية بالحنفية لم يكن في أصله من طبيعة التأسيس الأول، بل كان انتسابًا لاحقًا إلى بعض البيئات الحنفية، بحسب التحولات الإقليمية والسياسية والعلمية. ولهذا فالأدق تاريخيًا أن يقال: إن بعض البيئات الحنفية دخلها التأثير الأشعري أو وقع فيها اقتران بين الحنفية والأشعرية، لا أن الأشعرية تمثل الأصل العقدي الأول للمدرسة الحنفية.
وتكمن أهمية هذا التفريق في أنه يحفظ التسلسل التاريخي للمذهب، ويميّز بين البنية الحنفية الأولى وبين علاقاتها الكلامية اللاحقة.

10.4. المدرسة الحنفية في العهد السلجوقي والعثماني

في عهد السلاجقة الكبار، انتشر الفقه الحنفي الشرقي المقرون بالماتريدية في بلاد فارس، فترسخ هذا الاقتران أكثر. أما العراق والشام والأناضول فقد عرف بعضها اقتران الفقه الحنفي بعقيدة أهل الحديث أو بالأشعرية، بحسب تنوع البيئات العلمية والكلامية والمؤسسات السياسية فيها. وهذا يدل على أن الانتساب العقدي داخل الحنفية لم يكن صورة واحدة جامدة، بل عرف تنوعًا نسبيًا بحسب الإقليم والسياق التاريخي.
ثم جاء العهد العثماني، فأسهم تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي في تثبيت الصورة الأشهر: فقهًا حنفيًا، وعقيدةً ماتريدية، في مساحات واسعة من العالم العثماني. وتشير مادة المقال إلى ازدياد هذا الترسخ في بعض العهود السلطانية حتى غدا ذا طابع مؤسسي واضح في بعض المؤسسات الدينية والتعليمية.

11.4.خاتمة

تنتهي هذه القراءة إلى أن المدرسة الحنفية لم تظهر في أصلها بوصفها مدرسة كلامية ماتريدية أو أشعرية، بل تشكلت أولًا في سياق فقهي حديثي رأيي خاص، ارتبط بالإمام أبي حنيفة وتلامذته الكبار، وقام على أصول اجتهادية منضبطة جعلت الرأي وسيلة لفهم النصوص وتنزيلها، لا مسلكًا لمعارضتها أو إقصائها.
كما يتبين أن كثيرًا من الجدل اللاحق نشأ من عدم التمييز بين المدرسة الحنفية الأولى وبين المدرسة الحنفية الكلامية الثانية، ومن ثم وقع الخلط بين الأصل التاريخي للمذهب وبين صوره العقدية اللاحقة. وفي هذا الإطار يظهر أن الماتريدية إنما انتسبت إلى المدرسة الحنفية في سياق تطورها الداخلي في ما وراء النهر، ثم ترسخ هذا الانتساب عبر التحولات السياسية والعلمية والمؤسسية، بينما كان اتصال الأشعرية ببعض البيئات الحنفية لاحقًا وجزئيًا ومتفاوتًا بحسب الأقاليم والظروف التاريخية.
وعليه، فإن إعادة قراءة تطور المدرسة الحنفية تقتضي ردّ كل مرحلة إلى سياقها، والتمييز بين الأصل والتطور، وبين التأسيس والالتحاق، وبين البناء الفقهي الأول والبناء الكلامي اللاحق. وبذلك يمكن تقديم صورة أوفى لتاريخ الحنفية الفكري، ولعلاقتها بالماتريدية والأشعرية في مسارها التاريخي المركب.

12.4.الكلمات المفتاحية

المدرسة الحنفية، أبو حنيفة، أهل الحديث، أهل الرأي، الحنفية الأولى، الحنفية الكلامية الثانية، الماتريدية، الأشعرية، محمد بن الحسن الشيباني، أبو يوسف، الجرح والتعديل، تاريخ العقيدة، علم الكلام، التطور الفكري.

13.4.المراجع

هذه القائمة مبنية على المراجع والأسماء التي وردت في نصك الأصلي، وقد صغتها في صورة أقرب إلى قوائم المراجع العلمية، مع ترك بيانات الطبعة والناشر والسنة لتُستكمل من النسخة المعتمدة لديك عند الإرسال النهائي:

- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*.
- البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد. *كشف الأسرار عن أصول البزدوي*.
- البزدوي، فخر الدين علي بن محمد. *أصول البزدوي*.
- ابن أبي حنيفة، حماد، والمنسوب إليه في بعض روايات *الفقه الأكبر*.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. *مناقب الإمام أحمد بن حنبل*.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. *تهذيب التهذيب*.
- ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد. كتابه الذي نقلت عنه في الدفاع عن أبي حنيفة، ويُستكمل ضبط عنوانه من نسختك المعتمدة.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. *الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء*، أو الموضع الذي نقلتَ عنه بحسب نسختك المعتمدة.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *مجموع الفتاوى*.
- آل تيمية. *المسودة في أصول الفقه*.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. *سير أعلام النبلاء*، والمواضع التراجمية ذات الصلة.
- الشافعي، محمد بن إدريس. ما نُقل عنه في كتب التراجم والأدب.
- الشيباني، محمد بن الحسن. *الموطأ* بروايته عن الإمام مالك.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. *إحياء علوم الدين* أو الموضع الذي نقلت عنه بحسب نسختك المعتمدة.
- القاسمي، جمال الدين. المرجع الذي نقلت عنه في موقف أصحاب الصحاح من أهل الرأي، ويُستكمل ضبط عنوانه من نسختك المعتمدة.
- مالك بن أنس. *الموطأ*.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين. *معجم الأدباء*.
- أحمد شاكر، محمود محمد. تعليقاته وشروحه الحديثية في الموضع الذي نقلت عنه، ويُستكمل ضبط عنوان المرجع من نسختك المعتمدة.

5. سكة حديد الحجاز؛ من مشروع وحدة إسلامية إلى صراع

الممرات في زمن الحرب العالمية الثالثة

1.5.مقدمة

تُعد سكة حديد الحجاز من أهم المشاريع العمرانية والسياسية في أواخر العصر العثماني، إذ لم تكن مجرد وسيلة نقل، بل مشروعًا استراتيجيًا ارتبط بمحاولة إعادة تشكيل المجال الجغرافي الإسلامي وربط أطرافه بعضها ببعض. وقد تم تنفيذ المشروع في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، في ظل ظروف دولية اتسمت بتزايد الضغوط الاستدمارية الصليبية الإنجليزية الفرنسية الروسية...وغيرها عليها وسعي الدولة العثمانية للحفاظ على تماسكها؛ وتحويل السلطان العثماني في إطار الجامعة الإسلامية من سلطان الولاة إلى سلطان السلاطين بصفته خليفة المسلمين.

وقد جمع هذا المشروع بين البعد الهندسي-المتمثل في اختيار قطر السكة-والبعد السياسي الوحدوي، فضلًا عن دور مهم للنخب العربية داخل الدولة في دعمه وتنفيذه. ومع الحديث المعاصر عن إعادة إحياء الخط لربط تركيا وسوريا والسعودية، تبرز أهمية إعادة قراءة هذا المشروع في سياقه التاريخي والاستراتيجي.

2.5. قطر السكة الحديدية بين الهندسة والاستراتيجية

اختير لسكة حديد الحجاز قطر ضيق يبلغ نحو **1050ملم**، وهو أقل من القياس العالمي القياسي. وقد حمل هذا الاختيار دلالات متعددة:

1.2.5.التكيّف مع الطبيعة الجغرافية

مرّ الخط عبر بيئات صعبة من صحارى وجبال، ما جعل القطر الضيق:

- أقل تكلفة
- أسهل في التنفيذ
- أكثر مرونة في المسارات

2.2.5.البعد العسكري

- سهولة الإصلاح السريع
- إمكانية التفكيك الجزئي
- القدرة على مواجهة التخريب

3.2.5.الاستقلال التقني

جاء اختيار هذا القطر ضمن توجه عام لتقليل الاعتماد على النظم الأوروبية، وإبراز المشروع كإنجاز إسلامي تم تمويله جزئيًا من تبرعات المسلمين.

3.5. سكة الحجاز في سياقها التاريخي

بدأ تنفيذ المشروع عام 1900 واكتمل عام 1908، ممتدًا من دمشق إلى المدينة المنورة. بفرض ليرتان على كل فلاحي الأناضول

1.3.5.أهداف المشروع:

- **تسهيل الحج** وتقليل المخاطر
- **تعزيز وحدة الدولة العثمانية**
- **مواجهة النفوذ الاستعماري الأوروبي**

وقد شكّل المشروع وسيلة استراتيجية لنقل الجنود والإدارة، وربط الأطراف بالمركز.

4.5. دور الشخصيات العربية داخل البلاط العثماني

لم تكن سكة الحجاز مشروعًا مركزيًا خالصًا، بل شاركت فيه **نخب عربية** على مستويات متعددة:

1.4.5.الإدارة المحلية

ساهم ولاة الشام والحجاز وشيوخ القبائل في:

- تأمين مسار الخط
- تسهيل تنفيذ المشروع
- دعم استقراره

ومن أبرز الشخصيات:

- حسين بن علي الهاشمي الخائن في مرحلة ما قبل العصيان المحلي بمساعدة الإنجليز

2.4.5.الدعم الاجتماعي والقبلي

- حماية السكة من الهجمات بقسادة آل رشيد في حائل من القبائل العربية المؤيدة للخلافة العثمانية.
- تسهيل مرورها في الأراضي القبلية بدعم من أحفاد الأنصار والمهاجرين بالمدينة ومن عرب شمال الحجاز من المصريين ومن أهل الشام.
- دعم الاستقرار اللوجستي

3.4.5.الدور الديني والعلمي

ساهم العلماء العرب في:

- شرعنة المشروع دينيًا باعتباره من المقاصد الدنيوية التي تحقق الترابط والأخوة الإسلامية تفاعل حقيقي في ظل ربقة الخلافة الإسلامية وممثلتها آنذاك الدولة العثمانية.
- تقديمه كخدمة للحج
- تعبئة الرأي العام

4.4.5.الدعم المالي

اعتمد المشروع على تبرعات المسلمين، وقد قادت النخب العربية حملات:

- جمع التبرعات
- الترويج للمشروع
- ربطه بخدمة الحرمين

6.5.ملاحظة توثيقية

تُذكر بعض الروايات أسماء شخصيات عربية يُنسب إليها دور استشاري كبير في اقتناع السلطان عبدالحميد الثاني بالمشروع (مثل "عرب هالو باشا" كاتم سر السلطان عبدالحميد الثاني والذي شوهت صورته في المسلسل التركي عاصمة عبالحميد الثاني) بأنه كان خائناً بينما العكس كان هو الصحيح)، إلا أن:

- المصادر الأكاديمية لا تقدم توثيقًا قاطعًا لهذا الاسم
- بينما تؤكد بشكل عام **وجود دور عربي جماعي** في دعم المشروع

وعليه، فإن القراءة العلمية ترجّح أن المشروع كان:

نتاج تفاعل مركزي عثماني مع دعم عربي محلي واسع جمع بين المسلمين من ترك وعرب تحت مظلة الخلافة الإسلامية.

7.5. انهيار المشروع ودلالاته

توقف عمل السكة بعد الحرب العالمية الأولى، خاصة خلال الثورة العربية الكبرى.

1.7.5.دلالات الانهيار:

- تفكك البنية التحتية للوحدة
- انفصال المشرق العربي عن الأناضول
- بداية إعادة رسم الحدود السياسية

8.5. إعادة إحياء السكة في العصر الحديث

ظهرت محاولات لإعادة تشغيل أجزاء من الخط، كما طُرحت مشاريع لربط:

- تركيا
- سوريا
- الأردن
- السعودية

1.8.5.الأبعاد المعاصرة

1.1.8.5.اقتصاديًا

- تسهيل التجارة
- ربط الأسواق

2.1.8.5.دينيًا

- إحياء طريق الحج

3.1.8.5.سياسيًا:

- تعزيز التعاون الإقليمي
- تقليل التبعية للممرات الدولية
- كما أن هناك حاجة في الغرب عامة والأمريكي خاصة لاعادة إحياء هذا الخط لارتباطه بالحرب العالمية الثالث التي بدأ جذوة فتيلها بمذابح سوريا وبغزو روسيا لأوكرنيا وامتدت الآن للصراع الصيني الأمريكي على الخليج العربي المسلم والمتصدرة فيه إيران الشيعية في الواجهة نيابة عن الصين وروسيا.

9.5. قراءة تحليلية

تكشف سكة الحجاز عن نموذج مبكر لما يُعرف اليوم بـ:

- الجيوسياسة اللوجستية
- التكامل الإقليمي

كما تعكس صراعًا بين:

- مشروع الوحدة
- ومشاريع التفكيك الاستعماري

10.5.خاتمة

لم تكن سكة حديد الحجاز مجرد مشروع نقل، بل كانت رؤية حضارية تهدف إلى ربط العالم الإسلامي جغرافيًا وسياسيًا. وقد لعبت النخب العربية دورًا مهمًا في دعم هذا المشروع، مما يعكس طبيعة الدولة العثمانية ككيان متعدد المكونات.

واليوم، مع تجدد الحديث عن إعادة إحيائها، تعود السكة لتطرح سؤالًا استراتيجيًا: هل يمكن للبنية التحتية أن تعيد تشكيل الجغرافيا السياسية والعسكرية من جديد؟

11.5.الكلمات المفتاحية

سكة حديد الحجاز، عبدالحميد الثاني، قطر السكة الحديدية، الدولة العثمانية، الوحدة الإسلامية، النخب العربية، الربط الإقليمي، تركيا سوريا السعودية، الجغرافيا السياسية، طرق الحج.

ثبت المراجع

- أحمد عزت باشا العابد، مذكرات *أحمد عزت باشا العابد*. ج2.
- محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق: إحسان حقي، (بيروت: دار النفائس، د.ت)،
- محمود شاكر، *التاريخ الإسلامي – العهد العثماني*، (القاهرة: المكتب الإسلامي، د.ت)، ج8
- جمال عبد الهادي، *الدولة العثمانية 699–1343هـ / 1299–1924م*، (القاهرة: دار الوفاء، د.ت).
- جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت، علي أحمد لبن، *تاريخ الأمة الواحدة: صفحات من تاريخ الدولة العثمانية*، (القاهرة: دار الوفاء، د.ت).
- رءوف عباس، *مذكرات محمد فريد: دراسة وتحقيق*، (القاهرة: مركز الدراسات، د.ت).

ثانيًا المراجع التركية والأجنبية

- The Hejaz Railway
- The Arabs of the Ottoman Empire 1516–1918
- The Ottoman Empire and the World Around It
- Jordan Hejaz Railway Corporation
- Turkish State Railways

6.لماذا مصر العربية الإسلامية وليس الفرعونية؟!!!

1.6.الكلمات المفتاحية

" التمهيد ومفهوم الهوية، العروبة غير الصريحة، العروبة الصريحة والهوية الإسلامية لمصر، تأصيل تاريخي، الخاتمة".



نماذج من الصلاة عند قدماء المصريين الموحدين من نصوص كتابهم المقدس الخروج للنهار المنسوب لنبي هرمس "إدريس" -عليه السلام- المعروف في دراسات المستشرقين الأثرية بكتاب الموتى؛ حيث تتشابه صلاتهم مع صلاة المسلمين الحالية

2.6.التمهيد

تعتبر الآثار من الأمور الحديثة الهامة التي تشكل وجدان الشعوب؛ بخاصة بعد فترات الإحتلال الغربي؛ بل صارت أحيانًا موازية لدى البعض للدين؛ وأحيانًا تقدس عند البعض لدرجة تفوق الدين؛ وبما أنا علم الآثار هو؛ *في الأساس علم دراسات التاريخ المادي أو بمعنى آخر دراسات المخلفات الحضارية والمدنية للأمم البائدة والسابقة؛* فمن هنا كان لابد من توضيح خطورة استخدام هذا العلم في الإطار السياسي والإجتماعي والعسكري وأثره على العقائد الدينية للمجتمعات الإسلامية المعاصرة التي يغالبها أو يغلب على بعضها التغريب. وكما يقول عالم الآثار المصري الكبير عبدالكريم أبو شنب رحمه الله في كتابه علم الآثار في القرآن الكريم: *" ..في مصر يغيب الحاضر المؤلم؛ ويبعث الماضي البعيد السحيق عن عمد؛ ليفسد به المستقبل؛ لهذا يصرون على إحياء النعرة الفرعونية ضد الإسلام. ومن هنا كان لابد من التنبيه أن كل تراث ميراث؛ وليس كل ميراث هوية. وحضارة الوحي الناسخة لما قبلها من الشرائع والهويات؛ لا تتبدل أو تتغير لأي هوية أخرى قديمة؛ غير متكاملة الأركان ومصطنعة. لأن حضارة الفتح الإسلامي تجب ما قبلها..فدراسة آثار الأمم السابقة ومخلفاتهم المادية والحضارية مثل المصريين القدماء والبابليين والآشوريين والكنعانيين...وغيرهم للعبرة والعظة؛ وللبحث عن دلائل التوحيد في هذه الحضارات والمدنيات القديمة؛ والحفاظ على هذه الدلائل من الطمس واجب. فنحن ننتمي لكل رسول ونبي ومؤمن ومؤمنة عبر العصور؛ وليس لكل مشرك وطاغوت عبر الدهور؛ لأنه:*<< من تشبه بقوم حشر معهم>> كما في الحديث الشريف *- رواه أحمد وأبو داود- فالإنتماء العقدي المبني على الهوية الشخصية للمسلمين عامة؛ التي تميزهم عن غيرهم من الأمم؛ وللمصريين خاصة؛ اللذين يدبر عليهم بمكر الليل والنهار عبر التزييف في علم الآثار لكي ينسلخو عن هويتهم العربية الإسلامية شئ؛ ودراسة التاريخ والآثار للعبرة شئ آخر. فالتراث القديم قبل الفتح الإسلامي لمصر ميراث وليس للإنتماء؛ فالإنتماء للعقيدة وللغة الإسلام العربية فقط لا غير. لذا فإن ما يحدث من البعثات الأثرية الأجنبية في البلاد العربية عامة وفي مصر خاصة؛ عبر استخدام علم الآثار لإحياء النعرات العرقية والقومية في وجه الهوية العربية الإسلامية جريمة لا تغتفر. ولكن السؤال المؤلم والمخزي حقًا: " أين عيون الأمة الساهرة مما يحدث من قبل البعثات الأثرية الأجنبية؟!! ؛ مما يدبر لنا*

عبر علم الآثار لمحونا من على الخريطة الإنسانية عامة!!!... لذا فلابد من وضع النقاط على الحروف إن آثار الأمم القديمة قبل الفتح الإسلامي لمصر أو لغيرها من بلدان العالم الإسلامي للإنتساب؛ وليس للإنتماء. بمعنى آخر أن كثير من المصريون اليوم ينتمون في أصولهم للمصريين القدماء من ناحية السلالة؛ لكنهم لا ينتمون لهم من ناحية الهوية العربية الإسلامية. وإن كان في المصريين القدماء موحدين؛ غير أن بهم مشركون ولم تصلهم رسالة الإسلام الخاتمة؛ لذا فالهوية تكون للدين وللغة فقط لا غير."

ومن هنا كان لابد من التعريف بأهمية *مصر العربية الإسلامية لا مصر الفرعونية*؛ التي تستخدم نعرتها لطمس الهوية العربية الإسلامية؛ ومحاولة إرجاع مصر إلى ما قبل 1400 عام؛ أي قبل الفتح الإسلامي. ولإيضاح المسألة لابد من ربط التاريخ القديم بالتاريخ الإسلامي والحديث لتكتمل الصورة. لمعرفة مراحل التطور العروبي لمصر قبل العروبة الصريحة بعد الفتح الإسلامي. والدراسة هنا ليست للقومية أو للعرق ولكن لإثبات الحقائق التاريخية التي يراد طمسها عن عمد ولتوضيح مفهوم العروبة في التاريخ القديم بمصر قبل الفتح الإسلامي لها؛ وأنها ليست شئ طارئ عليها بعد الفتح الإسلامي؛ فاللغة المصرية القديمة ما هي إلا أحدى لهجات اللغة العربية القديمة التي يسمونها اللغة السامية الأم للتضليل؛ لكي لا يعترفوا بأن اللغة العربية أم اللغات. وهذا ما يراد طمسه عبر أبحاث المستشرقيين الآثاريين وتلاميذهم من أبناء جلدتنا الطابور الخامس الذي يتحدث بلساننا ولكن بمفهوم الغرب. ولأن مسألة الهوية تعد لأي أمة مسألة وجود؛ لا مسألة بحث ونقد؛ لهذا كان لابد من هذا السرد التاريخي لتتضح الصورة؛ بخاصة بعد عرض المومياوات التي نقلت من المتحف المصري للآثار القديمة على شاطئ النيل بشمال القاهرة إلى متحف الحضارة في حي مصر القديمة " مدينة الفسطاط أول عاصمة لمصر الإسلامية وأول مدينة إسلامية بقارة أفريقيا" بجنوب القاهرة بتاريخ 4 إبريل 2021م بمبلغ وصل إلى 20 مليار جنيه مصري من أموال الخزانة العامة المصرية بحسب تصريح وزير الآثار والسياحة المصري في التلفاز الرسمي للدولة؛ وما تبع ذلك من قرار منع تدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس؛ وتدريس اللغة اليونانية بحروف مصرية قديمة إجباريًا على الطلاب المسلمين في مصر بالتعليم الحكومي منذ الصف الرابع الإبتدائي حتى الإنتهاء من مرحلة الثانوية العامة بغرض التمهيد لإلغاء اللغة العربية في مصر؛ وما سيترتب على ذلك المحو للغة العربية من الغربة عن الإسلام تمهيدًا للقضاء عليه في نفوس المصريين وتنصيرهم؛ لذا كان لابد من هذا العرض:

1 - المصاهرة بين المصريين القدماء وعرب كنعان وقحطان قديمة جدا يصعب تحديدها منذ عصور سحيقة كنتيجة لحكم مصر لبلاد الشام في فترات عدة زمن الإمبراطورية المصرية القديمة وبخاصة في عصر الأسرة الـ18.

2- علاقة النسب الشهيرة بين عرب كنعان ويمثلهم سيدنا إبراهيم -عليه السلام- والمصريين وتمثلهم السيدة هاجر المصرية -رضي الله عنها- وانجابهم سيدنا إسماعيل -عليه السلام- أبو العرب الحجازية؛ لذا فالمصريين أصهار العرب الكنعانية وأخوال العرب العدنانية. واسم هاجر ذاتًا على وزن فاعل وهو اسم عربي؛ مما يؤكد عروبة قدماء المصريين.

3- قيام دولة العامو العربية على أرض مصر كما يسميها المصريون القدماء؛ والتي تعرف باللسان العربي الفصيح بدولة العماليق والتي أطلق عليها الإحتلال الإغريقي لمصر اسم دولة الهكسوس. وهي تمثل الأسرات الـ15-17 التي حكمت شمال ووسط مصر. وهي التي أنشأت مدينتي الفرمة "بورسعيد" على ساحل البحر المتوسط والقلزم " السويس" على ساحل البحر الأحمر؛ وهي من ضمت شبه جزيرة سيناء إلى مساحة الأراضي المصرية وكانت عاصمتها مدينة أورايس " تل الضبعة بالدلتا اليوم ". وفي عهد هذه الدولة زمن حاكمها الريان بن الوليد جلب نبي الله يوسف – عليه السلام- وهو طفل وابتيع بمصر. والملك الريان هذا جد السيدة آسيا -رضي الله عنها- زوجة الفرعون المعاصر لنبي الله موسى -عليه السلام- والمعروف باسم خيان في الكتابات المصرية القديمة حيث كانت تقلب الراء خاء.

4- توحيد الملكة العربية الكنعانية الزباء التي تعرف باللسان اليوناني زنوبيا بلاد الشام ومصر في دولة عربية واحدة لمدة 20 عامًا وحررت الشام ومصر من قبضة الرومان؛ ولولا خيانة الفرس لها لصمدت في وجه الرومان.

5- لأن مصر فتحها الصحابة -رضوان الله عليهم- سنة 21هـ/642م زمن الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب وبقيادة الصحابي عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- فتعربت تماما. ومن هؤلاء الصحابة ثلاثة صحابة مصريين من أصول قبطية وهم رافع القبطي وعبدالخبير القبطي وعبداللطيف القبطي؛ وكانوا من خدم الرسول-صلى الله عليه وسلم- وروى عنهم الإمام البخاري في صحيحه.

6- اللغة المصرية القديمة وليس الهيروغليفية لأن الهيروغليفية خط وليست لغة؛ كالخط الثلث والكوفي باللغة العربية لعمري هل سمع يومًا عن اللغة الكوفية مثلا؟! مثلما مزوري التاريخ يحاولون تلبيسها علينا الآن. لذا فاللغة المصرية القديمة قريبة جدا في نحوها من اللغة العربية وفي خطها الديموطيقي الذي يتشابه مع الخط المسند والآرامي العربيان بطريقة غريبة وملفته للنظر؛ كما ذكر ذلك العلامة الآثار المصري أحمد كمال باشا في قاموسه عن علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة العربية؛ ولقد رفضت سلطات الإحتلال الإنجليزي طبع هذا القاموس عام 1923م فمنذ الإحتلال الإنجليزي لمصر حتى اليوم لم يطبع منه سوى جزء واحد عام 2020م من مجمل عشرين جزء؛ لا نعرف ما بهم؛ وسبب عدم طبع قاموس اللغة المصرية القديمة لأحمد كمال باشا الحفاظ على نظرية المستشرقيين في كون اللغة المصرية لغة حامية أفريقية لا علاقة لها باللغة العربية.

لذا فإن مصر غيرت لغتها مرتين المرة الأولى بحد السيف على يد الإغريق حتى أنهم تفننوا في إيجاد لغة تجمع بين الإغريقية الهلينستية والمصرية القديمة وتكتب بالحروف اليونانية. وأطلقوا عليها ايجابتوسوا اللي تسمت القبطية فيما بعد؛ واعتمد عليها في القضاء على اللغة المصرية تماما؛ إلا أن الاغريق المتمصريين هم من استخدموها ورفض استخدمها المصريون فاندرست هذه اللغة حتى الاحتلالين الفرنسي والإنجليزي لمصر؛ واللذان أعادا احيائها على أربع لهجات؛ وعجزوا عن فك شفرة القبطية القديمة التي ابتدعها المحتل الاغريقي القديم. إنه بعد ألف سنة احتلال إغريقي وورمي وبيزنطي فر كثير من المصريين الى النوبة ليحافظوا على ما تبقى من لسانهم إلا أن قواعد الكتابة ضاعت لذا تجد النوبية الآن صوت بلا حرف باستثناء محاولة فرنسا أن تجعلهم يكتبوا بالحروف اللاتينية الفرنسية وجهزت لهم معجمًا في ذلك؛ ليفصلوهم عن وطنهم وغزو فيهم النعرة العرقية القومية.

المرة الثانية التي غيرت فيها مصر لغتها بإرادتها بعد ضياع لغتها إلى اللغة العربية لغة القرآن لأجل القرآن والإسلام ولقرب اللغة العربية من لغتها كانت بإرادتها؛ لذا يحاول المستشرقون جعل اللغة المصرية القديمة لغة حامية بأي ثمن؛ ليفصلوها عن نطاق اللغة العربية واللغات العروبية القديمة لقطع الصلة بين مصر واللغة العربية .

7- الأجناس التي وفدت على أرض مصر في عصور الترك والشركس والأرناؤوط الألبان والكرد تعربت وانصهرت في مصر بشخصيتها العربية الإسلامية الجديدة. ولقد كان نتيجة هذا التعريب والانصهار في المجتمع والثقافة المصرية الجديدة؛ أن أثر هذا في بعض كلمات اللهجة العامية المصرية؛ بل وحتى في الكلمات الأجنبية المستعربة. وتفنن المصريون في استخدام قاعدة الاختصار المصرية القديمة؛ ولكن مع اللغة العربية التي تقبل ذلك؛ فنجد كلمة معلش اختصار جملة "ما عليك شئ" وكلمة ماشي اختصار لجملة "ما في شئ" التي تدل على الموافقة وعدم الاعتراض على الأمر؛ كأسلوب معنوي في الكلام؛ ومثلها كلمة مفيش تأتي بنفس الاختصار السابق "ما في شئ" ولكنها للدلالة على الفراغ المادي عكس ماشي الأولى... وهكذا. وكلمة أيوه العربية القحطانية التي تعني نعم والموافقة والتي انتقلت إلى اللغة التركية من بلاد الشام ومصر وغير ذلك الكثير؛ مما لا يمكن حصره.

8- ما أنتجته مصر باللسان العربي في ظل الإسلام عوضها عن تراثها المفقود على يد الهجمات الهمجية الفارسية والاغريقية والرومية والبيزنطية فأغسطس الإمبراطور الروماني بعد احتلاله مصر سنة 31 ق. م. ذهب إلى مدينة الأقصر ودمر جامعة

الكرنك وأبقى على المعبد وقال: *"لا جامعة إلا بروما"* ونقل البرديات المصرية القديمة لروما وأمر بنسخها إلى اليونانية مع نسبتها لعلماء الإغريق والرومان ثم أمر بحرق البرديات المصرية القديمة. لذا فإن كثير من علوم وحضارة مصر القديمة كما فعل الإغريق من قبل على مدار ثلاثمائة عام قد ضاع وفقد الكثير منها على يد حركة الطمس والتلتين والأغرقة الرومية. ومن هنا فقد عوضت اللغة العربية مصرعم فقدته على يد أعداءها الأجانب فتجد من مصر الإمام ورش، وابن البيطار الشافعي، وابن هشام صاحب السيرة النبوية، والإمام السيوطي، والإمام البوطي الشافعي، وابن عبدالحكم المالكي، والمقريزي الحنفي ثم الحنبلي، وابن النفيس المصري الأصل الدمشقي المولد مكتشف الدورة الدموية، والسخاوي، والقلقشندي، ومنها القاضي العيني صاحب وفيات الأعيان، ومنها ابن ظهيرة المؤرخ، وابن تغري بردي؛ وبالمناسبة ابن تغري بردي الجد من أولاد الناس حيث أن أمه مصرية عربية ووالده مملوك تركي معتوق؛ وحفيده أبي المحاسن بن تغري بردي التركماني المصري. ومصر دولة جاذبة في العصر الإسلامي للعلماء أتاه ابن خلدون وبها توفى، وأتاها ابن تيمية، وأتاها الإمام القرطبي الأندلسي، ومنها من ولد بها وترعرع وتعربت أسرته كشمس الدين الذهبي،... وغيرهم الكثير الكثير؛ الذين حفظوا مدنيتها الإسلامية باللسان العربي وعوضوها عما فقدته بلسانها القديم.

9- عروبة مصر من عروبة قبائلها سواء الكنعانية أو القحطانية بالصعيد أو الحجازية العدنانية بسيناء والدلتا والصحراء الشرقية والغربية وبالأحواف.

10- شخصية مصر العربية الإسلامية الجديدة تبلورت تماما بمنتصف القرن الثاني الهجري فظهر بمصر ذو النون المصري والذي ألف في لغة مصر القديمة بالعربية؛ إلا أن المخطوط فقد؛ ومخطوط عالم اللغات القديمة محمد بن أبي بكر بن وحشية العراقي العربي الكلداني *شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام* من القرن الخامس الهجري والمحفوظ في متحف برلين بألمانيا؛ والذي أعتمد عليه شامبليون في فك رموز الخط المصري القديم بحجر رشيد المحفوظ بمتحف لندن بإنجلترا؛ وهذا مما لا يذكر عند الإشارة لشامبليون الفرنسي كما أوضح ذلك عالم الآثار والتاريخ عكاشة الدالي في كتابه *الألفية المفقودة*.

3.6.الخاتمة

الذين يستهدفون عروبة مصر هم في الأصل يستهدفون الإسلام بغطاء علم الآثار القديمة الذي يغلب عليه الظن لا التأكيد لذا تجدهم يلقون بكل ما ذكرته المصادر الإسلامية عن مصر القديمة ويشككون فيه؛ بينما يعتمدون على الكتب المقدسة المحرفة في إثبات تاريخ ليس موجودًا أصلًا وعلى نظريات المستشرقين رسل الإحتلال. فهل ستستيقظ أمتي قبل فوات الآوان؟!!! أم أنها ستدفن رأسها في التراب وتستسلم كالنعام عند هجوم الذئاب!!!

7.سكة حديد الحجاز؛ من مشروع وحدة إسلامية إلى صراع الممرات في زمن الحرب العالمية الثالثة

1.7.الكلمات المفتاحية

"سكة حديد الحجاز، السلطان عبد الحميد الثاني، الدولة العثمانية، الوحدة الإسلامية، الجغرافيا السياسية، صراع الممرات، الممرات البرية، الشرق الأوسط الجديد، الحرب العالمية الثالثة، الصين وأمريكا، الصراع على تايوان، إيران الشيعية، إسرائيل والممرات، طريق حيفا الخليج، الربط التركي السعودي، تركيا وسوريا والأردن والسعودية، الممرات الاستراتيجية، سلاسل الإمداد العالمية، الطاقة والنقل، السكك الحديدية الدولية، النفوذ الأمريكي، النظام الدولي الجديد، الكتلة السنية، التوازنات الإقليمية".

2.7.مقدمة

تُعد سكة حديد الحجاز من أهم المشاريع العمرانية والسياسية في أواخر العصر العثماني، إذ لم تكن مجرد وسيلة نقل، بل مشروعًا استراتيجيًا ارتبط بمحاولة إعادة تشكيل المجال الجغرافي الإسلامي وربط أطرافه بعضها ببعض. وقد تم تنفيذ المشروع في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، في ظل ظروف دولية اتسمت بتزايد الضغوط الاستعمارية الإنجليزية والفرنسية والروسية وغيرها على الدولة العثمانية، وسعي الدولة إلى الحفاظ على تماسكها الداخلي، وترسيخ فكرة الجامعة الإسلامية، بحيث لا يبقى السلطان العثماني مجرد سلطان على ولايات متفرقة، بل خليفةً جامعًا للمسلمين في مواجهة مشاريع التفكيك.

وقد جمع هذا المشروع بين البعد الهندسي، المتمثل في اختيار قطر السكة، والبعد السياسي الوحدوي، فضلًا عن دور مهم للنخب العربية والإسلامية داخل الدولة في دعمه وتنفيذه. ومع الحديث المعاصر عن إمكان إعادة إحياء الخط لربط تركيا وسوريا والأردن والسعودية، تبرز أهمية إعادة قراءة هذا المشروع في سياقه التاريخي والاستراتيجي، لا بوصفه أثرًا عثمانيًا جامدًا، بل باعتباره نموذجًا مبكرًا لفكرة الممرات الكبرى التي تصنع السياسة وتعيد وصل الجغرافيا.

3.7. قطر السكة الحديدية بين الهندسة والاستراتيجية

اختير لسكة حديد الحجاز قطر ضيق يبلغ نحو **1050ملم**، وهو أقل من القياس العالمي القياسي. وقد حمل هذا الاختيار دلالات متعددة، منها ما هو هندسي، ومنها ما هو مالي، ومنها ما هو أمني واستراتيجي. فالخط كان سيمر في بيئات قاسية من صحارى وجبال وأودية، وكان المطلوب إنجازه في زمن قصير وبكلفة محتملة، لذلك كان القطر الضيق أنسب من الناحية العملية. وقد بني خط دمشق–المدينة المنورة فعلًا بطول يقارب 1320 كم وبقياس 1050 ملم حتى افتتاحه سنة 1908 تقريبًا .

فمن جهة التكيّف مع الطبيعة الجغرافية، جعل القطر الضيق إنشاء الخط أقل كلفة، وأسهل في التنفيذ، وأكثر مرونة في المسارات الجبلية والصحراوية. ومن جهة البعد العسكري، كان هذا الاختيار يسمح بسرعة الإصلاح، وإمكان التعامل مع التخريب أو الأعطال بصورة أسرع من الخطوط الكبرى. ومن جهة الاستقلال الرمزي، جاء المشروع في صورة إنجاز إسلامي عثماني، شارك المسلمون في تمويله، ولم يكن مجرد مشروع أوروبي مفروض على جغرافيا إسلامية.

4.7. سكة الحجاز في سياقها التاريخي

بدأ تنفيذ المشروع عام 1900، واكتمل الخط الرئيس إلى المدينة المنورة عام 1908، وقد كان الهدف المعلن هو خدمة الحج وتقليل مشقته ومخاطره، لكن الهدف الأعمق كان ربط الولايات العربية بالمركز العثماني، وإعادة وصل الحجاز والشام والأناضول في خط واحد. وقد ورد هذا البناء العام في مسودة مقالك الأصلية بوصف السكة مشروعًا عمرانيًا وسياسيًا لا مجرد وسيلة نقل .

لقد كانت رحلة الحج قبل السكة طويلة وخطرة ومكلفة، تتعرض فيها القوافل لمخاطر الطريق والمرض والنهب والضياع. فجاءت السكة لتختصر الزمن، وتمنح الدولة قدرة أكبر على حماية الطريق، وتنظيم حركة الحجاج، ونقل الجند والإدارة. وهنا يتضح أن المشروع كان يخدم ثلاثة أهداف كبرى: تسهيل الحج،

وتعزيز وحدة الدولة العثمانية، ومواجهة النفوذ الاستعماري الأوروبي الذي كان يعمل على فصل المشرق العربي عن عمقه الأناضولي والإسلامي.

5.7. دور الشخصيات العربية والإسلامية داخل البلاط العثماني

لم تكن سكة الحجاز مشروعًا مركزيًا عثمانيًا خالصًا بمعنى الانفصال عن العرب، بل شاركت فيه نخب عربية وإسلامية على مستويات متعددة. فقد أسهم ولاة الشام والحجاز، وشيوخ القبائل، والعلماء، والوجهاء، في حماية المسار وتسهيل العمل وجمع التبرعات وتعبئة الرأي العام. وكان للمشروع بُعد ديني واضح؛ إذ قُدّم للناس باعتباره خدمة للحرمين الشريفين، وتسهيلًا للحج، وربطًا عمليًا بين المسلمين تحت مظلة الخلافة.

وفي هذا السياق ينبغي ذكر أحمد عزت باشا العابد، المعروف في بعض الروايات باسم **عرب عزت باشا،** لا بصيغة "عرب هالو باشا" غير الدقيقة. فقد كان من الشخصيات العربية القريبة من السلطان عبد الحميد الثاني، وتكشف مذكراته، المعروفة باسم **صندوق عبد الحميد الأسود،** جانبًا من كواليس البلاط الحميدي وشبكة رجاله العرب والمسلمين. ويمكن الاستئناس بهذه المذكرات عند الحديث عن حضور العنصر العربي داخل الدائرة الحميدية، مع ضرورة التمييز بين الثابت تاريخيًا وما يحتاج إلى مزيد من التحقيق.

وقد ظهر الدور العربي كذلك في الدعم الاجتماعي والقبلي، ومنه حماية السكة في بعض المناطق، ومساندة قبائل وقوى محلية مؤيدة للخلافة العثمانية. كما كان لعلماء العرب دور في شرعنة المشروع باعتباره من المقاصد الدنيوية التي تحقق الترابط والأخوة الإسلامية في ظل الخلافة، لا مجرد طريق حديدي جامد.

6.7. انهيار المشروع ودلالاته

توقف عمل السكة بعد الحرب العالمية الأولى، خصوصًا مع اضطراب المنطقة واندلاع الثورة العربية الكبرى وتدخل بريطانيا في إعادة تشكيل المشرق العربي. ولم يكن انهيار السكة مجرد توقف فني، بل كان علامة على تفكك بنية تحتية كانت تربط الجغرافيا الإسلامية ببعضها.

لقد مثّل سقوط الخط بداية انفصال المشرق العربي عن الأناضول، وبداية مرحلة جديدة من الحدود السياسية التي رسمتها القوى الاستعمارية. ومن هنا يمكن القول إن ضرب السكة لم يكن ضربًا لقضبان الحديد وحدها، بل كان ضربًا لفكرة الاتصال نفسها: اتصال الشام بالحجاز، واتصال العرب بالأناضول، واتصال العالم العربي الإسلامي بالعالم العجمي الإسلامي.

7.7. إعادة إحياء السكة في العصر الحديث

ظهرت في العقود الأخيرة محاولات لإعادة تشغيل أجزاء من الخط، أو استعادة رمزيته ضمن مشاريع سياحية وثقافية واقتصادية. كما طُرحت أفكار عن ربط تركيا بسوريا والأردن والسعودية، بما يعيد إلى الذاكرة الطريق القديم ولكن بشروط العصر الحديث.

اقتصاديًا، يمكن لمثل هذا الخط أن يسهّل التجارة، ويربط الأسواق، ويخلق ممرًا بريًا مهمًا بين الأناضول والمشرق والجزيرة العربية. ودينيًا، يمكن أن يعيد إحياء طريق الحج التاريخي، لا بالمعنى القديم فقط، بل ضمن شبكة نقل حديثة تربط الذاكرة بالتنمية. وسياسيًا، يمكن أن يعزز التعاون الإقليمي، ويقلل من التبعية الكاملة للممرات البحرية التي تتحكم بها القوى الدولية.

غير أن أهمية هذا المشروع اليوم لا تقف عند الحج والسياحة والتجارة. ففي ظل التحولات الدولية العنيفة، لم تعد فكرة إحياء سكة حديد الحجاز منفصلة عن سؤال الممرات الكبرى في زمن تلوح فيه ملامح **الحرب العالمية الثالثة**. فروسيا، رغم اتساع أرضها وترسانتها، خرجت من حرب أوكرانيا قوة مستنزفة، وتراجعت صادراتها العسكرية بصورة حادة؛ إذ تشير بيانات معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام إلى أن صادرات السلاح الروسية انخفضت بنسبة 64% بين فترتي 2015–2019 و2020–2024، بينما بقيت الولايات المتحدة في الصدارة، وصعدت فرنسا إلى المرتبة الثانية .

أما فرنسا، فرغم كونها قوة تصديرية مهمة، فإنها لا تمثل قطبًا عسكريًا شاملًا ينافس أمريكا والصين في ميزان التكنولوجيا الكبرى. وتركيا، رغم صعودها اللافت في مجال المسيّرات والصناعات الدفاعية، لا تزال في موقع القوة الصاعدة، لا القوة المهيمنة. أما الصراع الحقيقي على التكنولوجيا العسكرية الكبرى، من الذكاء الاصطناعي العسكري إلى الليزر والحرب الإلكترونية وسلاسل إنتاج المسيّرات، فيدور أساسًا بين واشنطن وبكين.

ومن هنا تبدو الصين كأنها تقرأ ساحات أوكرانيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا بوصفها مختبرًا مفتوحًا لفهم أداء السلاح الغربي، واختبار قدرة التكنولوجيا العسكرية الصينية بصورة مباشرة أو غير مباشرة عبر حلفاء وشبكات نفوذ تمتد من روسيا إلى إيران وباكستان. وفي خلفية هذا كله تقف تايوان بوصفها الجبهة المؤجلة؛ الجبهة التي تستعد لها بكين وهي تدرس نتائج المعارك الحالية قبل أي مواجهة كبرى مع الغرب. وقد أشارت تقارير وتحليلات دفاعية إلى أن الصين وتايوان كلتيهما تعيدان قراءة دروس حرب أوكرانيا، خصوصًا في ما يتعلق بالمسيّرات والإنتاج العسكري وسيناريوهات المواجهة حول الجزيرة .

ومن هذه الزاوية، فإن إعادة إحياء خط يربط تركيا بسوريا والأردن والسعودية لا تبدو مجرد استعادة رومانسية لمشروع عثماني قديم؛ بل تدخل في صلب الصراع على الجغرافيا والممرات البرية. فالسكة التي كانت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أداة لربط العالم الإسلامي ومنع انفصال أطرافه، يمكن أن تُقرأ اليوم بوصفها مشروعًا استراتيجيًا يعيد وصل المجال العربي الإسلامي بالمجال الأناضولي، في زمن تتصارع فيه القوى الكبرى على طرق الطاقة، وسلاسل الإمداد، والممرات العسكرية، ومستقبل الشرق الأوسط.

8.7. قراءة تحليلية

تكشف سكة حديد الحجاز عن نموذج مبكر لما يُعرف اليوم بالجيوسياسة اللوجستية، أي تحويل الطرق والسكك والموانئ والممرات إلى أدوات نفوذ سياسي واقتصادي وعسكري. لقد أدرك السلطان عبد الحميد الثاني أن الدولة التي لا تربط أطرافها بطرق ثابتة يسهل تفكيكها، وأن الحجاز إذا بقي بعيدًا عن الشام والأناضول، صار أكثر عرضة للعزل والتدخل الخارجي.

كما تعكس السكة صراعًا بين مشروعين: مشروع الوحدة الإسلامية الذي أراد وصل العرب والترك وسائر المسلمين في مجال سياسي وروحي واحد، ومشروع التفكيك الاستعماري الذي عمل على فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية، ثم فصل العالم العربي الإسلامي عن امتداده العجمي الإسلامي.

ولهذا فإن الحديث عن إعادة إحياء السكة اليوم لا ينبغي أن يُقرأ بوصفه مجرد مشروع نقل، بل باعتباره سؤالًا عن مستقبل المنطقة: هل تبقى الجغرافيا الإسلامية مقطعة بين حدود وممرات أجنبية، أم يمكن إعادة وصلها بمشاريع بنية تحتية تحفظ المصالح وتعيد للمنطقة قدرتها على الحركة؟

9.7. إسرائيل وسكة الحجاز: قلق الممرات لا قلق الحديد

إن القلق الإسرائيلي من إحياء سكة حديد الحجاز ليس قلقًا من قضبان قديمة، بل من تحوّل جغرافي قد يعيد وصل الكتلة السنية العربية والتركية خارج الهيمنة الإسرائيلية. فخط يربط تركيا بسوريا والأردن والسعودية يفتح طريقًا بريًا واسعًا بين الأناضول والجزيرة العربية، ويكسر فكرة جعل إسرائيل ممرًا إجباريًا بين الخليج والبحر المتوسط عبر حيفا ويافا والجليل والقدس. ومن هنا ترى تل أبيب في هذا المشروع خطرًا وجوديًا على موقعها الوظيفي في المنطقة، لا مجرد منافسة اقتصادية. وفي الحساب الأمريكي الأوسع، قد لا تبقى إسرائيل وحدها الأداة الكافية لمواجهة الصين في أرض العالم الإسلامي. فإسرائيل في الرؤية الأمريكية قاعدة متقدمة ضمن شبكة المضائق والقواعد والممرات التي ورثتها واشنطن عن بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، لكنها قاعدة محدودة بشريًا وجغرافيًا. فإذا اشتدت ملامح الحرب العالمية الثالثة، واحتاج الغرب إلى كتلة أوسع في مواجهة الصين وروسيا وإيران الشيعية، فقد يجد في المجال السني الممتد من تركيا إلى الشام والجزيرة العربية وزنًا بشريًا ولوجستيًا لا تستطيع إسرائيل وحدها تعويضه. ومن هنا يصبح إحياء سكة حديد الحجاز مشروعًا يتجاوز الذاكرة العثمانية، ويدخل في قلب الصراع على الممرات والموانئ والسكك وسلاسل الإمداد في الشرق الأوسط الجديد.

10.7.خاتمة

لم تكن سكة حديد الحجاز مجرد مشروع نقل، بل كانت رؤية حضارية تهدف إلى ربط العالم الإسلامي جغرافيًا وسياسيًا وروحيًا. وقد لعبت النخب العربية والإسلامية دورًا مهمًا في دعم هذا المشروع، من خلال الإدارة، والحماية، والتمويل، والشرعنة الدينية، والتعبئة الاجتماعية.

واليوم، مع تجدد الحديث عن إمكان إحيائها، تعود السكة لتطرح سؤالًا استراتيجيًا كبيرًا: هل يمكن للبنية التحتية أن تعيد تشكيل الجغرافيا السياسية والعسكرية من جديد؟ وهل يمكن لخط بدأ يومًا لخدمة الحج ووحدة المسلمين أن يعود في زمن الصراعات الكبرى ليكون ممرًا من ممرات النجاة، لا مجرد ذكرى من حديد؟

11.7.ثبت المراجع

1.11.7. المصادر والمراجع

- أحمد عزت باشا العابد، *مذكرات أحمد عزت باشا العابد*. 2ج.
- محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق: إحسان حقي، (بيروت: دار النفائس، د.ت)،
- محمود شاكر، *التاريخ الإسلامي – العهد العثماني*، (القاهرة: المكتب الإسلامي، د.ت)، ج8
- جمال عبد الهادي، *الدولة العثمانية 699–1343هـ / 1299–1924*م، (القاهرة: دار الوفاء، د.ت).
- جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت، علي أحمد لبن، *تاريخ الأمة الواحدة: صفحات من تاريخ الدولة العثمانية*، (القاهرة: دار الوفاء، د.ت).
- رءوف عباس، *مذكرات محمد فريد: دراسة وتحقيق*، (القاهرة: مركز الدراسات، د.ت).

2.11.7. المراجع التركية والأجنبية

- The Hejaz Railway
- The Arabs of the Ottoman Empire 1516–1918
- The Ottoman Empire and the World Around It
- Jordan Hejaz Railway Corporation
- Turkish State Railways

3.11.7. مواقع الشبكة العنكوبتية الإخبارية

- The Times of Israel
  https://www.timesofisrael.com/israel-to-begin-promoting-railway-linking-haifa-seaport-with-saudi-arabia/
- Anadolu Agency
  https://www.aa.com.tr/en/middle-east/saudi-minister-says-studies-for-rail-link-to-turkiye-via-jordan-syria-to-be-completed-soon/3914785
- The Washington Institute
  https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/future-us-israel-strategic-cooperation
- Belfer Center
  https://www.belfercenter.org/research-analysis/degradation-irans-proxy-model

8.الحدود الممزقة: حلايب وشلاتين بين خيانة الداخل والمشروع الصليبي

1.8.تمهيد

منذ فجر التاريخ لم يكن وادي النيل إلا وحدة واحدة. فالمصريون سمّوا صعيدهم مصر العليا، وامتدادهم الجنوبي نوبة مصر، وما وراءه من أرض النيل عُرف بـ مصر السوداء. لم يكن هناك شيء اسمه "السودان" ككيان منفصل، بل كان هذا الجنوب امتدادًا طبيعيًا لمصر، أرضًا وشعبًا وحضارةً.

ومع الفتح الإسلامي دخلت هذه الديار في الإسلام على يد عبد الله بن أبي السرح، فأضحت شمال الوادي وجنوبه تحت راية واحدة، يحكمها الأمويون ثم الأيوبيون فالمماليك. وبقيت كذلك حتى جاءت خيانة الداخل، لتفتح الباب لمؤامرات الخارج.

2.8.محمد علي... البداية الأولى للانفصال

لم يعرف التاريخ اسم "السودان" إلا مع محمد علي. فهو أول من غيّر الاسم القديم "مصر السوداء" إلى "السودان"، وفصل الإدارة عن القاهرة، وأقام للجنوب عاصمة جديدة سماها الخرطوم.

بهذا القرار بدأ التأسيس الفعلي لفكرة كيان منفصل عن مصر، بعد أن كان الجنوب دومًا جزءًا من جسدها الواحد. وما فعله محمد علي كان بذرة أولى للانفصال، استثمرها الإنجليز لاحقًا ليغرسوا حدودهم المصطنعة.

3.8.حدود قُطِعت بقرار استعماري

كانت حدود مصر التاريخية تمتد حتى الجندل السابع قرب الخرطوم.

فرض الإنجليز خط عرض 22 حدًّا سياسيًا مصطنعًا، فشقّوا القبائل الواحدة نصفين؛ شمالي مصري وجنوبي يسمّى "سوداني" .

تركوا ألغامًا حدودية مثل حلايب وشلاتين والجبل الأصفر، ليفجّروها ساعة الحاجة ويُبقوا وادي النيل في نزاع دائم.

وهكذا صار الشعب الواحد شعبين، والنوبة الموحدة نصفين، بفعل خط وهمي صنعته الخرائط الاستعمارية.

4.8.من الإدارة المشتركة إلى صدام 1992

من 1956 حتى 1992 أُديرت حلايب وشلاتين بنظام إدارة مشتركة؛ سكانها مصريون وسودانيون في آن واحد، وقوة مشتركة تحميها. لكن محاولة اغتيال مبارك في أديس أبابا قلبت الموازين؛ فأمر الجيش المصري بطرد القوات السودانية وإلغاء الاتفاق. حاول البشير استعادتها بالقوة، فردّ مبارك بدعم أخطر: فتح أبواب القاهرة لجون قرنق زعيم التمرد الصليبي، الذي سجَد له بابا الفاتيكان اعترافًا بأنه أسّس أول دولة صليبية على النيل منذ الفتح الإسلامي.

عرض البشير على مبارك وقف التقدّم مقابل وقف الدعم، لكن مبارك اشترط اعترافًا صريحًا بإلغاء الإدارة المشتركة. رفض البشير، فقطعت العلاقات، وتحوّل النزاع إلى قطيعة سياسية عميقة.

5.8.التمرد الصليبي ومشروع التقسيم

لم يكن تمرد جون قرنق مجرّد حركة جنوبية محلية، بل كان مشروعًا صليبيًا عالميًا رعته الكنيسة والغرب، ليُقام كيان صليبي على النيل يقطع شريان مصر عن إفريقيا.

لقد صُنع جنوب السودان على عين الفاتيكان وأمريكا، وكان انفصاله أخطر من مجرد اقتطاع أرض؛ إذ فتح الباب لتغيير ديموغرافي وتغلغل ديني يستهدف هوية مصر كلها.

6.8.خيانة الأرض وبيع الدم

في خضم هذه الصراعات، فُتحت ملفات أخرى: السعودية والإمارات ضغطتا على البرهان للتنازل عن حلايب وشلاتين مقابل دعم اقتصادي.

وفي المقابل تنازلت مصر عن تيران وصنافير، اللتين ارتوتا بدماء آلاف الجنود المصريين بين 1967–1973، ففقدت مصر قدرتها على إغلاق خليج العقبة، وانفتح البحر الأحمر رسميًا أمام الكيان الصهيوني.

هكذا اكتملت صورة الخيانة: أرض تُباع، دماء تُهدر، وممرات استراتيجية تُسلَّم للعدو.

7.8.الشعب يقاوم... والأنظمة تقمع

منذ 1919 خرجت الجماهير المصرية والسودانية تهتف ضد التقسيم، وصدحت حناجر سيد درويش بأغنية الوحدة. لكن الأنظمة المرتبطة بالاستعمار قمعت الشعوب بالرصاص والدبابات: عبد الناصر في مصر، والأزهري في السودان. حتى المناهج التعليمية أعيدت صياغتها لتصف الوجود المصري في السودان بـ"الاحتلال"، كي ينشأ جيل على كراهية مصر، بدل أن يعرف أنها أمّه الكبرى.

8.8.من لبنان الكبير إلى دولة قرنق الصليبي

ما حدث في السودان تكرار حرفي لما جرى في الشام، حين اقتطعت فرنسا عام 1920 لبنان الكبير من جسد سوريا لصناعة كيان طائفي يعيش على دعم الغرب. وفي وادي النيل صنعوا نسخة أخرى: دولة جون قرنق الصليبية، لتكون خنجرًا في خاصرة مصر ووحدتها.

9.8.خاتمة

إن الحدود الممزقة لم تصنعها الشعوب، بل صاغتها خيانة الداخل ومؤامرة الاستعمار، منذ محمد علي وحتى الإنجليز، ومن ورائهم المشروع الصليبي الحديث.

ولا سبيل لاستعادة اللحمة إلا بـــ:

كشف الحقائق التاريخية: أن السودان هو مصر السوداء ونوبة مصر ومصر العليا، لا كيان منفصل.

فضح الخونة الذين باعوا الأرض والدم.

مقاومة المشروع الصليبي الذي ما زال يعمل لتفتيت الأمة.

وإحياء الهوية الإسلامية والعربية التي وحّدت وادي النيل قرونًا طويلة.

فالوحدة ليست شعارًا عاطفيًا، بل قدر تاريخي وديني، وحق أصيل للأمة، لن يسقط مهما تراكمت الخيانات.

10.8.ثبت المصادر والمراجع

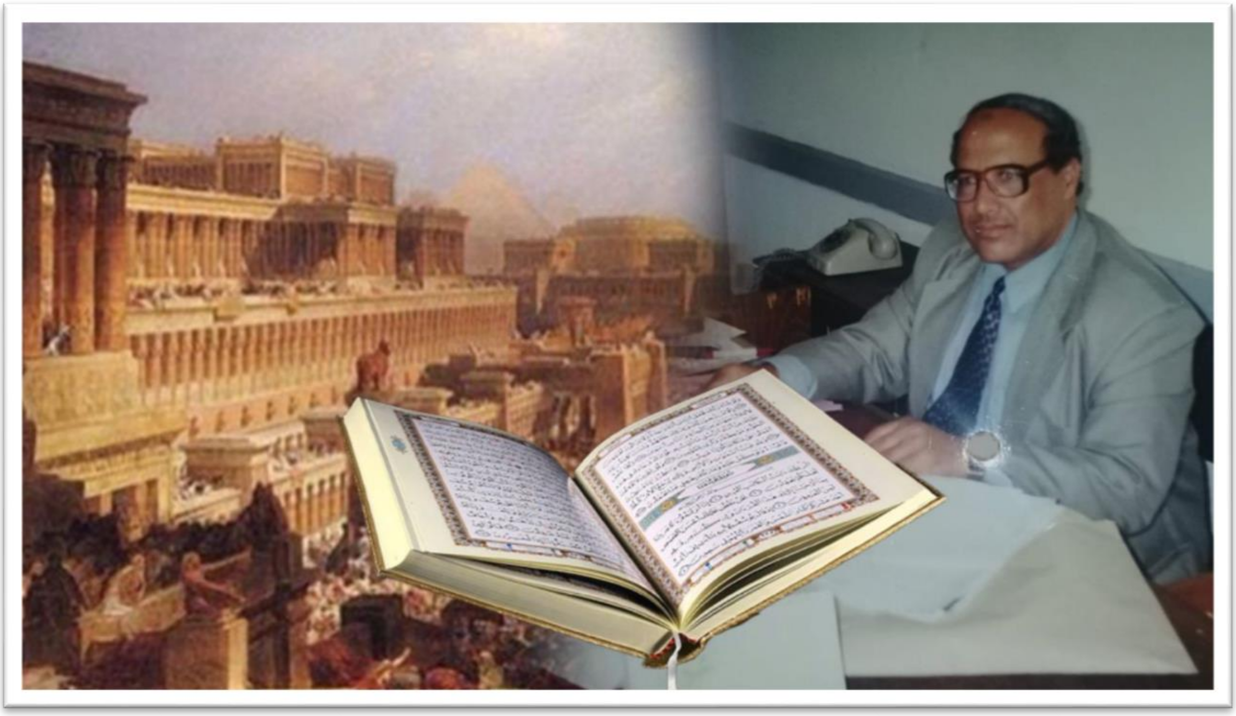
1. **الدكتور عبد العزيز صالح**، *الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق*، مكتبة الأنجلو المصرية (لمراجعة الجذور التاريخية لوادي النيل).
2. **نعوم شقير**، *تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته*، دار الجيل (لتوثيق مرحلة محمد علي باشا والإدارة الإنجليزية).
3. **الدكتور محمد فؤاد شكري**، *السودان في السياسة المصرية*، دار المعارف (لتحليل النزاعات الحدودية والاتفاقيات التاريخية).
4. **جمال حمدان**، *شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان*، عالم الكتب (لفهم الوحدة الجيوسياسية لوادي النيل).
5. **الأرشيف الوطني المصري/ السوداني**، *وثائق اتفاقية الحكم الثنائي لعام 1899*؛ بشأن خط عرض 22.
6. **تقارير "إدراك بوست" التركية**، *مقالات ومراسات د. خالد أبو شنب*؛ حول جيوسياسية البحر الأحمر وسكة حديد الحجاز.

9.لماذا رفضت المدرسة اللادينية الأثرية فكر د. عبد الكريم أبو شنب؟

(قراءة في البعد المعرفي والسياسي)

1.9.المقدمة

يُعدّ الدكتور **عبد الكريم أبو شنب** من أبرز الباحثين العرب الذين حاولوا إعادة قراءة التاريخ المصري القديم ونقوشه في ضوء القرآن الكريم والوعي التوحيدي. هذه المقاربة – التي يمكن وصفها بـ"علم الآثار القرآني" – وضعت فكره في مواجهة مباشرة مع المدرسة اللادينية المهيمنة على دراسات المصريات (Egyptology) في مصر والعالم العربي. تهدف هذه الدراسة إلى بيان أسباب هذا الرفض، وقراءة أبعاده المعرفية والسياسية.



عالم الآثار المصري د.عبدالكريم أبوشنب بمكتبه بإدارة الحيازة للآثار؛ بوزارة شؤون الآثار المصرية ـ بالعباسية –القاهرة.

2.9. التباين المنهجي

- **أبو شنب** :قدّم رؤية توحيدية، تربط بين النصوص القرآنية والآثار، معتبرًا أن الحضارة المصرية القديمة لم تكن وثنية صرفة، بل مرّت بأنوار النبوات (إدريس، يوسف، موسى عليهم السلام).
- **المدرسة اللادينية** :تتبنى المنهج الغربي الذي يرى الآثار المصرية نتاجًا وثنيًا أسطوريًا، ويقصي أي تفسير ديني أو نصٍّ سماوي. النتيجة: اصطدام جذري بين منهج "الوحي كمرجعية" ومنهج "الوثنية كأساس."

3.9. معركة الهوية

- اعتبر د.عبدالكريم أبو شنب أن **اللغة المصرية القديمة ذات جذور عربية سامية،** وأنها قريبة من البنية القرآنية، ما يعيد وصل مصر بجذورها العربية والإسلامية.
- التيار اللاديني تبنّى أطروحة "الفرعونية" كهوية منفصلة، تُستخدم سياسيًا لخلق قطيعة بين المصريين المعاصرين ودينهم الإسلامي. و من هنا، مثّل عالم الآثار المصرية القديمة د.عبدالكريم أبو شنب تهديدًا لخطاب "القومية الفرعونية" الذي روّجت له الدولة القطرية اللادينية في مصر برعاية الإحتلال الإنجليزي منذ أوائل القرن العشرين.

4.9. البعد السياسي

- **المؤسسات الرسمية** (المجلس الأعلى للآثار، المعهد الألماني، وسائل الإعلام) خضعت لهيمنة أسماء نافذة مثل **زاهي حواس** وطيب المسالك البولية المنصر وسيم السيسي...وغيرهم؛ هؤلاء سعوا إلى فرض رواية واحدة تُمجّد الدور الغربي وتستبعد التفسيرات المحلية.
- فكر أبو شنب أعاد الاعتبار للباحث المسلم المحلي، وربط الوعي الأثري بالهوية القرآنية، ما عُدّ خطرًا سياسيًا يتجاوز السجال الأكاديمي.
- لذلك جرى **شطب اسمه من قوائم علماء المصريات** وتهميش إنجازاته، رغم مشاركته في اكتشافات كبرى (مثل مقبرة وسر إف رع).

5.9. أسباب الرفض المعلنة وغير المعلنة

1. **أسباب معلنة** :وصف فكره بأنه "غير علمي" لأنه يربط بين الدين والآثار.
2. **أسباب غير معلنة** :الخوف من أن يُعيد الإسلاميون استخدام نتائجه لإثبات أن مصر القديمة عرفت التوحيد، بما يهدد سردية "الوطنية الفرعونية."
3. **أسباب شخصية ومصلحية** :المنافسة مع الأسماء الكبرى المسيطرة على الإعلام والبحث، والتي سعت لاحتكار الفضل العلمي.

6.9. قراءة تركيبية

إن رفض المدرسة اللادينية لفكر د. عبد الكريم أبو شنب لا يمكن اختزاله في مجرد خلاف أكاديمي، بل هو نتاج تداخل ثلاثة عوامل:

- **معرفي** :تضاد بين التفسير التوحيدي والتفسير الوثني الغربي.
- **هوياتي** :صراع حول هوية مصر (إسلامية/عربية أم فرعونية/وثنية).
- **سياسي** :رغبة السلطة في السيطرة على الخطاب الأثري وتوظيفه في تشكيل الوعي الجمعي.

7.9.الخاتمة

يمثل فكر عبد الكريم أبو شنب محاولة جادة لتحرير علم المصريات من أسر المنهج الاستشراقي، وإعادة وصل النص القرآني بالواقع الأثري. رفضه من قبل اللادينيين كان نتيجة حتمية لصدام المناهج والمرجعيات، لكن أثره سيبقى شاهدًا على أن قراءة التاريخ المصري القديم ليست حكرًا على السردية الغربية، بل يمكن أن تُستعاد في إطار توحيدي جامع.

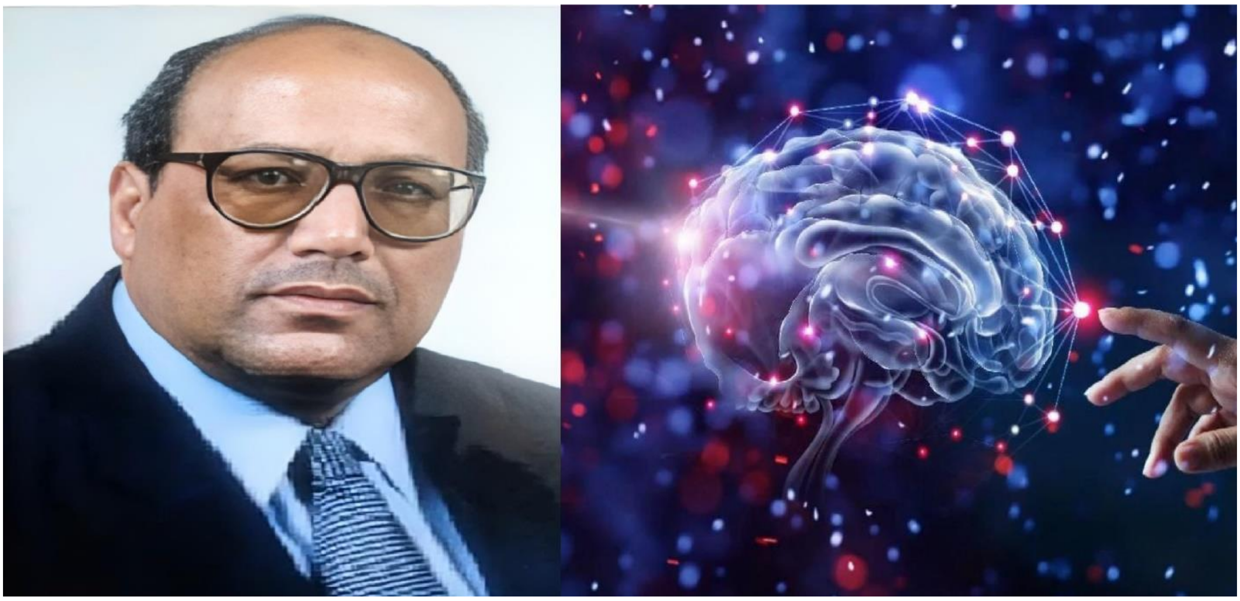
8.9. ثبت المراجع

- **عبد الكريم أبو شنب، *علم الآثار في القرآن الكريم*.**
- **Eric Hobsbawm, *Nations and Nationalism since 1780*.**
- **Donald B. Redford, *Pharaonic Religion and the Bible*.**
- **Edward Said, *Orientalism*.**

10.علم النفس الأثري؛ مقارنة بين المنهج التوحيدي د. عبد الكريم أبو شنب والمناهج الاستشراقية والتغريبية

1.10.تمهيد

في ظل هيمنة المناهج الغربية في تحليل التاريخ والآثار، برزت اتجاهات بديلة تُعيد للمادة التاريخية والمعمارية أبعادها النفسية والإيمانية، وعلى رأس هذه الاتجاهات يأتي الطرح الأصيل الذي قدمه عالم الآثار المصري الدكتور عبد الكريم أبو شنب تحت اسم **"علم النفس الأثري".**
يدعو أبو شنب إلى قراءة الآثار لا بوصفها مجرد بقايا مادية، بل باعتبارها امتدادات وجدانية وروحية للشعوب التي أنشأتها.
وتبتعد هذه المقاربة كليًا عن الرؤية الاستشراقية والتغريبية التي تفصل الإنسان عن روحه، والحضارة عن إيمانها.



عالم الآثار المصرية القديمة د.عبدالكريم أبو شنب -رحمه الله تعالى- مؤسس نظرية "علم النفس الأثري"

2.10.ما هو علم النفس الأثري عند الدكتور عبد الكريم أبو شنب؟

يعرف عالم الآثار المصري د.عبد الكريم أبو شنب علم النفس الأثري بأنه: "تأويل أثري نفسي في ضوء التوحيد، يبحث في دوافع البناء، والدلالات الرمزية لتخطيط المدن، وكيفية انحراف المعنى الفطري للأثر بما يؤدي إلى تشويه الهوية".
وفق هذا المنظور، فالأثر الأثري ليس كومة من الحجارة الصامتة، بل هو حوار داخلي يعكس مخاوف الأمة التي أنشأته، وإيمانها، وكبرياءها أو اختلالها النفسي.

فعلى سبيل المثال

لا يُفهم المسجد فقط بمعايير معمارية، بل بحال الروح المؤمنة التي صممته.

- ولا يُفهم الهرم من خلال ارتفاعه فحسب، بل من خلال التصور الوجودي لمن بناه.

ويقوم هذا المنهج على ثلاثة أركان

- **الرؤية التوحيدية:** الأثر امتداد للحالة النفسية للإنسان.
- **العمارة الرمزية:** هناك ارتباط عميق بين التخطيط والبنية النفسية.
- **رفض المنهج الغربي:** يرفض أبو شنب النهج الذي يعزل الآثار عن بعدها الإيماني والروحي.

3.10. الاستشراق والمناهج الغربية: رؤية مادية وتشريحية

يعالج المنهج الاستشراقي الآثار كوثائق اقتصادية أو سياسية، وينظر إليها على أنها:

- مؤشر على تطور تقني أو اقتصادي.

- استجابة لحاجة إدارية أو سياسية.
- ناتج عن دافع بدائي أو تطوري.

وهذه الرؤية تقود إلى نتائج خطيرة، منها

- تجريد الآثار الإسلامية من بعدها الإيماني، حتى تُعرض المساجد كأنها "مبانٍ عامة."
- تقديم الحضارات الشرقية كامتداد للتراث الإغريقي-الروماني.
- تجاهل الأبعاد النفسية والدينية في التخطيط العمراني، وشرح كل شيء بوصفه وظيفيًا أو تقنيًا.

ومن أبرز من تبنّى هذا المنهج: غوستاف لوبون، لويس ماسينيون، زاهي حواس، والنسخة المحلية منه الدكتور وسيم السيسي. فهؤلاء يتناولون الإسلام بمنهج تاريخي تطوري، متغافلين عن جوهره التوحيدي.

3.10. التغريبيون (المستغربون): استنساخ الغرب دون نقد

هم الكتاب المحليون الذين ينقلون الرؤى الاستشراقية دون مراجعة نقدية. ويتصفون بـ:

- إنكار الارتباط بين الحضارة والإيمان.
- السخرية من التفسيرات الدينية للآثار.
- تفسير المساجد والأضرحة والمخطوطات بمنظار غربي.

وبحسبهم، فإن علم النفس الحديث كافٍ لفهم الإنسان القديم، ولا حاجة لمفاهيم مثل الإيمان، والروح، والفطرة!

4.10. المفرقة الكبرى: بين روح الإنسان وغريزته

الأساس	المستشرقون والتغريبيون	د. عبد الكريم أبو شنب
فهم الإنسان	كائن بيولوجي غرائزي	كائن إلهي ذو فطرة ووعي
تفسير الأثر	نتاج مادي اقتصادي - سياسي	انعكاس نفسي وعقائدي
هدف الدراسة الأثرية	تحليل تطور البنى وظيفيًا	فهم نفسية الأمم ودوافعها
المرجعية الفلسفية	العلمنة والتاريخانية	التوحيد والفطرة

5.10.الخاتمة

إن ما يقدمه الدكتور عبد الكريم أبو شنب تحت عنوان "علم النفس الأثري التوحيدي" ليس تأويلاً أدبيًا فحسب، بل هو ثورة معرفية تهدف إلى فهم روح التاريخ، ونية المنشئ، ونفسية المجتمعات من خلال آثارها.

وعلى عكس المناهج الاستشراقية والتغريبية، فإن هذا المنهج:

- يعيد للأثر هويته.
- يفسر الإنسان في ضوء فطرته.
- يخضع التاريخ لقراءة روحية متجذرة.

في عصر التفسخ، والعلمانية، وفقدان المعنى، تأتي النفسية الأثرية الإسلامية لتطلق صرخة:

"تذكّر المعنى، وأحيِ الروح"!

6.10.مقال منشور بجريدة إدراك بوست التركية

النص التركي للمقال:

https://www.idrakpost.com/tr/sosyal-kultur/tevhit-merkezli-arkeoloji-dr-abdulkerim-ebu-sennab-in-elestirileri-ve-yeni-yorumlari

النص الإنجليزي للمقال:

https://www.idrakpost.com/en/society-and-culture/tawhid-centric-archaeology-abu-shannab-s-critique-and-vision-for-a-revelation-based-paradigm

11.القرآن الكريم بين الماضي والحاضر

1.11.التمهيد

من الحقائق المسلمة أن القرآن هو الكتاب الأكثر قراءة وحفظًا في العالم. إلى جانب ذلك ، فإن القرآن هو من أكثر كتب التي أهتم بها بحثًا ودراسة من المسلمين وغير المسلمين. بينما يبحث البعض في القرآن الكريم لاكتشاف معانيه وتبيان أسراره ومقاصده ، يبحث البعض الآخر عنه لمجرد الاستخفاف به أو لتزوير حقائقه المثبته. دعونا نعلم جيداً أن الحرب بين الحق والباطل ستستمر حتى نهاية العالم. إذًا فالقرآن الكريم هو المصدر الرئيس للإسلام؛ فكيف وصل إلينا؟ وهذا ما سوف نجيب عنه من خلال الأسطر القادمة.

2.11. معنى كلمة القرآن

تأتي كلمة القرآن من صيغة المصدر "القراءة" أي القراءة. والقرآن معنًا شاملاً لكل محتويات القراءة في العلوم الدنيوية والأخروية وهو كلام الله الذي نزل على نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- بالوحي عبر آمين الوحي جبريل –عليه السلام- ، والذي نقل بالتواتر والإسناد عبر الصحابة –رضوان الله عليهم- من خلال كتبت الوحي والحفظة. فالقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه المتلو المتعبد به في الصلوات وسائر العبادات. وكلام الله لا ينحسر في الكتب الإلهية المنزلة السابقة الأصلية كصحف نبي الله إبراهيم –عليه السلام وكالزبور والتوراة والإنجيل؛ فكلام الله بهذه الكتب ولكنه متكلم بغيرها لعباده عبر الآحاديث القدسية الوحي الغير المتلو والوحي غير المباشر السنة النبوية الشريفة...وغيرهم في الرد على عباده وفي كلامه جل وعلا في حساب العباد يوم التغابن. ففي حين أن لفظ القرآن ومعناه من عند الله بوحي واضح ، فإن معنى الحديث في السنة من عند الله، ولفظ الحديث من عند نبينا –صلى الله عليه وسلم-.

من الممكن تقسيم عملية نزول القرآن ، التي حدثت بين الأعوام 610-633 ، إلى فترتين. من حيث أحوال المسلمين، تنعكس كلتا الفترتين في الآيات التي نزلت. في أسلوب الآيات التي نزلت في مكة (القرآن المكية)؛ وهي الفترة الأولى. حيث لا توجد بشكل عام أي مسائل تتعلق بأحكام الشريعة. بينما تناولت آيات القرآن المكي إيضاح أمور العقيدة من التوحيد والإيمان وتاريخ الأنبياء –عليهم جميعًا وعلى نبينا الصلاة والسلام-. لأن المولى سبحانه وتعالى خلال هذه الفترة أراد أولاً أن يصحح عقائد المسلمين وغيرهم. ولكن عندما ننظر إلى الآيات التي نزلت في المدينة المنورة، وهي الفترة الثانية من نزول الوحي، يتبين أن هناك العديد من الأحكام الشرعية التي نزلت مثل أحكام الميراث، والاقتصاد، والحياة الاجتماعية، والجهاد، والأخلاق، والزواج، وأحكام اليتامي وغير ذلك من سائر أحكام الدولة والمجتمع.

3.11. لغة القرآن الكريم

ولغة القرآن هي العربية الفصحة العدنانية أي لغة قريش. بالمناسبة هنا يتبادر إلى الذهن سؤال! لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية العدنانية لسان قبيلة قريش ولم ينزل بغيرها من لهجات العرب ؟! الجواب: لأن اللغة العربية العدنانية هي أفصح لغات العرب أوضحها نقاء وقوة وبلاغة عن غيرها من اللهجات العربية الأخرى. التي أثرت وتأثرت باللغات الأعجمية الأخرى كالفارسية واليونانية؛ علي سبيل المثال؛ كان زمن الإحتلال الفارسي الإغريقي الروماني لبلاد الشام والعراق ومصر؛ لهذا نجد العربيات الفصحة الأخرى الكلدانية والآرامية والأكادية والكنعانية... وغيرها قد انتقلت منها كلمات إلى اللغات الأعجمية؛ ولم تستعمل في العربية العدنانية؛ فعدها عرب الحجاز وقت نزول القرآن الكريم كلمات غريبة على مسامعهم. لهذا أعتقد بعض العرب أن بعض هذه الكلمات ليست عربية. من ناحية أخرى ، اعتقد الفرس والرومان أن هذه الكلمات كلمات أعجمية لأنها كانت متداولة بلسانهم ولا توجد باللسان العربي العدناني؛ ومن أمثلة هذه الكلمات استبرق

وسندس... وغيرها فمثلاً كلمة سندس كلمة عربية وجدت في نقش نبي الله هود –عليه السلام- لعاد الثانية المؤمنة بمدينة عدن بقلعة حصن الغراب باليمن؛ وهذا النقش يعود حسب تقدير الآثاريين الغربيين إلى أكثر من ثمانية ألف عام قبل ميلاد المسيح –عليه السلام- حسب تقويمهم؛ لهذا السبب فإن القرآن الكريم أعاد هذه الكلمات إلى اللغة العربية الصافية من جديد إلى العربية العدنانية. وبذلك تحولت اللهجة العربية العدنانية إلى لغة شاملة احتوت سائر اللهجات العربية الأخرى الآكادية والآرامية والبونيقية والكنعانية والقحطانية والثمودية ...إلخ. ولهذا تضمن القرآن علوم التجويد والقراءات؛ لأن العدنانية تحولت من أحدى اللهجات العربية إلى أم اللغات العربيات القديمة.

4.11. جمع القرآن ونسخه

يعتبر جمع القرآن الكريم ونسخه من الأمور المهمة للغاية من حيث الحفاظ عليه ووصوله إلينا بصيغته الأصلية. لكن بالرغم من أن كل آيات القرآن الكريم سجلت زمن نزول الوحي؛ إلا أنها لم توضع بين ضفتي غلافي المصحف في عصر الرسول-صلى الله عليه وسلم-. ولكن تم هذا العمل في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق –رضي الله عنه- 11-13هـ. حيث قام بجمع القرآن الكريم حفاظًا عليه من الضياع بناءًا على نصحية الصحابي الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه- وذلك بعد استشهاد كثير من الحفظة في معركة اليمامة؛ فخشي أن يضيع حفظ القرآن وطريقة نطقه المطابقة للرسم التوقيفي له المشهور بالرسم العثماني؛ ولقد أمر الخليفة الراشد الصديق –رضي الله عنه- أن يتم جمع جميع صحف والمواد الأخرى المكتوب عليها آي القرآن من حجر وعظام وجلود وغيرها وأن يشهد على صحتها شاهدين عدول؛ وكون لذلك لجنة جمع القرآن الكريم برئاسة كاتب الوحي زيد بن ثابت –رضي الله عنه- مع العبادلة " عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص..."؛ وكان كاتب الوحي الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه يصر على تطابق الحفظ مع الرسم التوقيفي الذي أشتهر فيما بعد بالرسم العثماني؛ والذي يؤكد ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب " فضائل القرآن "، باب " جمع القرآن "، حديث رقم: (4988)، قال: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ : فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا ، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ : (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) وقد استشكل بعض الناس – سواء من المسلمين أم من الطاعنين على القرآن – أن آية من كتاب الله لا يعرفها سوى صحابي واحد، والفرض أن القرآن الكريم منقول إلينا بالتواتر، كما أن فقد الآية يبعث على الشك فيما سواها. والجواب على ذلك أمر سهل ميسور بحمد الله تعالى، وذلك من وجوه عدة

أولا: لو تأملنا في كلام زيد بن ثابت رضي الله عنه لتبين لنا مراده ومقصده ، فهو رضي الله عنه حين يقول : " فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا " يدل على أنه رضي الله عنه يعرف الآية ويحفظها ، وإلا فكيف يفتقد شيئا لا يعرفه أصلا ، أو كيف يفتقد شيئا غفل عنه ونسيه ولم يخطر على باله ، وأكد على معرفته بالآية حين قال : (قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا)

ثانيا: معلوم أن زيد بن ثابت رضي الله عنه من كبار الحفاظ المتقنين الذين جمعوا القرآن حفظا في صدورهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثله أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبو الدرداء ، وأبو زيد الأنصاري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد وردت فيهم الأحاديث والروايات الصحيحة التي تدل على أنهم من كبار الحفاظ ، وغيرهم أيضا من عشرات القراء الذين ورد أنهم قتلوا في حرب المرتدين ، مما يدل على توافر حفاظ آخرين كثيرين، ينظر : " المقدمات الأساسية في علوم القرآن " (ص/91-93). فمن غير المعقول ، ومن المتعذر عادة أن آية من كتاب الله فاتت جميع القراء والحفاظ الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم ، ولا يعرفها سوى صحابي آخر لم يشتهر أنه من حفظة كتاب الله تعالى .

ثالثا: إذن فما الذي يريده زيد بن ثابت رضي الله عنه في قوله : " فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ "؟ يريد أنه وجدها مكتوبة عند خزيمة بن ثابت رضي الله عنه ، فقد كان شرط زيد بن ثابت في جمعه للقرآن أنه لا يثبت آية في المصحف حتى يتثبت أنها مكتوبة مدونة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة الشهود الثقات ، ولا يعتمد على الحفظ فق. فبين زيد بن ثابت رضي الله عنه هنا أنه لم يقف على آية الأحزاب مكتوبة سوى عند صحابي واحد وهو خزيمة بن ثابت رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قوله : (لم أجدها مع أحد غيره) أي : مكتوبة ، لِما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاها بغير واسطة لما في ذلك من تأكد من صحة الرسم التوقيفي للآية؛ حيث سنجد بها كلمة عاهدوا رسمت بدون الألف الوسطى بعد العين "عهدوا" لهذا وضع بعد العين الألف الخنجرية القصيرة للحفاظ على صحة القراءة للكلمة مع الابقاء على رسمها التي كتبت به ، وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم " انتهى من " فتح الباري .(9/15) "

وقال ابن حزم رحمه الله : "أما افتقاد زيد بن ثابت الآية فليس ذلك على ما ظنه أهل الجهل ، وإنما معناه أنه لم يجدها مكتوبة إلا عند ذلك الرجل... بيان ما قلناه منصوص في هذا الحديث نفسه ، وذلك أن زيدا حكى أنه سمع هذه الآية من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت عند زيد أيضا " انتهى باختصار من " الإحكام في أصول الأحكام(6/265) " ووضعت نسخة هذا المصحف الإمام الأول في بيت أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها- عند موت الخليفة الراشد أبو بكر الصديق–رضي الله عنه- غير أن نسخة الصديق كانت تتميز بأنها تجمع بين القراءات بالأحرف السبعة على وجهين. مما سينتج عنه اختلاف القراءة بين الأعاجم والمستعجمين في العراق؛ واتهام غيرهم ممن يقرأ القرآن على حرف صوتي منزل غير حرف النزول الذي يقرأون به أنهم يصحفون في قراءة القرآن. وحدثت هذه الفتنة زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ذي النورين 23-35هـ.

وأتضحت اثار هذه الفتنة عندما أرسل الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- الصحابي حذيفة بن اليمان لفتح أرمينية وأذربيجان؛ حينما أختلف جنده من أهل العراق مع أهل الشام حول قراءة القرآن؛ فأرسل على الفور رسالة إلى الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه- قال له فيها:" أدرك الأمة قبل أن تختلف اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم". وعلى الفور قام الخليفة ذي النورين عثمان –رضي الله عنه- بعمل لجنة جمع القرآن الثانية برئاسة زيد بن ثابت –رضي الله عنه- مرة أخرى لاستكمال مشروع مصحف الصديق وطلب من هذه اللجنة أن يجمع القرآن بصورة تجعل كل حرف من الأحرف السبعة في نسخة واحدة مستقلة عن الأخرى وأن يجمع بين ضفتي كتاب وأن يكتب على رق غزال؛ وأن ترسل كل نسخة تحتوي على حرف واحد من نسخة هذا المصحف الإمام إلى المصر القريب من لسانهم؛ ليتبينو قراءته؛ على أن يكتب القرآن بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم؛ وأن يحافظ على الرسم التوقيفي لكلمات القرآن كما كانت زمن نزول الوحي؛ فمثلاً كلمات حياة في القرآن تكتب بحرف الواو حيوة وكلمة الأقصا بسورة الإسراء تكتب بالهمز الحجازية الممدودة وليس بالألف الحجازية اللينة...وهكذا؛ لما في ذلك من حفظ لعلمي القراءات والتجويد ولمنع تحريف القرآن الكريم؛ ولهذا اشتهر الرسم التوقيفي بالرسم العثماني؛ نسبة للخليفة الراشد عثمان بن عفان-رضي الله عنه- ونسخ من هذا المصحف الإمام سبعة نسخ؛ كل نسخة تحتوي على حرف واحد للقراءة؛ وأرسلت هذه النسخ للأمصار المختلفة لينسخوا مثلها وتركت نسخة لأهل المدينة المنورة. وبذلك وأد الخليفة ذي النورين الراشد الفتنة في مهدها. وأمر بحرق المصاحف التي يختلط فيها بين التفسير وآي القرآن كنسخة مصحف عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه- أو التي كتبت بلسان غير لسان قريش كنسخة مصحف قبيلة طيء؛ لمنع الفتنة عن كتاب الله. (لوحة:1).



اللوحة 1: صفحتين من نسخة المصحف الإمام للخليفة الراشد عثمان بن عفان –رضي الله عنه- بمتحف برمنجهام بإنجلترا

5.11. حفظ القرآن

وبعد نسخ نسخة المصحف الإمام مر القرآن بعدة مراحل كالتالي:

1- في العصر الأموي قام مروان بن الحكم بحرق نسخة الصديق أبي بكر-رضي الله عنه- لأنه كان غير مجموع بين ضفتين؛ كمصحف عثمان-رضي الله عنه-؛ فخشى وقت الفتنة أن يضع الزنادقة أو الخوارج بعض الألواح في حجرة القرآن ويقولون هذا من القرآن ولم ينقله الصحابة للمصحف الإمام؛ فيطعنون في صحة القرآن.

2- قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بتكليف الحجاج بن يوسف الثقفي باستدعاء التابعي أبي الأسود الدؤولي تلميذ الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما- وأمره بوضع الشكل على القرآن من الضم والكسر والفتح؛ فوضعه على شكل نقاط ملونة تخالف لون متن المصحف الأسود؛ حفاظًا على تلاوته؛ ومازالت هذه النسخة محفوظة بمتحف المخطوطات بالقاهرة؛ ثم دعى الإمام الحسن البصري؛ لوضع الألف الخنجرية الصغيرة أعلى الرسم التوقيفي للحفاظ على شكل القراءة الصحيحة للقرآن لدى المسلمين الأعاجم.

3- وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك 86-96هـ قام نصر بن عاصم الليثي عام 89هـ بوضع النقط على الحروف العربية بالقرآن بنفس مداد خط المصاحف باللون الأسود فصارت الباء تحتها نقطة والتاء يعلوها نقطتان والثاء ثلاث نقاط والجيم بقلها نقطة والخاء يعلوها نقطة وهكذا. ونصر بن عاصم هذا تلميذ أبي الأسود الدؤولي.

4- ثم قام العالم النحوي الخليل بن أحمد الفراهيدي ت.170هـ في بداية العصر العباسي الأول بإعادة تطوير شكل حركات الإعراب فجعل الشدة رأس السين وجعل الضمة واوًا والضمتين للتنوين واوين أو ألفين متوازيين مائلين علويين أو سفليين للدلالة على الفح والكسر وجعل السكون دائرة الهاء المربوطة وهكذا. (لوحة:2).

وبذلك تحقق قول الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات الآية الـ (9):

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

6.11. طباعة المصاحف المعاصرة

قام الأوروبيون بطباعة نسخ من المصاحف العربية في مطابعهم ممتلئة بالأخطاء؛ وأدت هذه النسخ المطبوعة إلى حالة من الغضب في العالم الإسلامي؛ فقام الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني 1876-1909م بتكليف مطبعة عثمان أفندي باستانبول بطباعة نسخ وفيرة من المصاحف بالرسم التوقيفي العثماني. وخالية من الأخطاء المطبعية. ومع الزمن انتشرت مطابع القرآن الكريم في استانبول والقاهرة ودمشق ومكة والمدينة... وغيرهم.



اللوحة 2: سورة الفاتحة حتى من مصحف ابن البواب الذي توفي في القرن الخامس الهجري (في متحف جستيربيتي في دبلن، أيرلندا)

7.11. أماكن أقدم مصاحف القرآن الكريم

أقدم المصاحف توجد في بعض البلاد الإسلامية وغير الإسلامية. من بين هذه الأماكن يمكننا أن نذكر:

1- نسخة المصحف الإمام كاملة بمتحف قصر طوبقابي سراي باستانبول نقلها السلطان سليم الأول من القاهرة إلى استانبول؛ بعد ضمه مصر.
2- نسخة المصحف الإمام بدار الكتب المصرية؛ ولكن يوجد بها بعض الأوراق أكلتها الأردة.
3- نسخة المصحف الإمام بمتحف سمرقند بأوزباكستان.
4- نسخة المصحف الإمام بمتحف لندن في إنجلترا
5- نسخة المصحف الإمام التي استشهد عليها الخليفة الراشد عثمان بن عفان-رضي الله عنه- ومازالت دمائه الزكية عليه للآن وهي محفوظة بمتحف المتروبوليتان في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.
6- نسخة مصحف أبي الأسود الدؤولي بمتحف المخطوطات بالقاهرة.
7- هناك بعض نسخ المصاحف المنسوخة في نهاية العصر الأموي ببعض مكتابات النجف وكربلاء بالعراق وبمتحف طهران بإيران ينسبها الشيعة إلى الإمام علي بن ابي طالب-رضي الله عنه-.

8.11.الخاتمة

القرآن الكريم هو كلام الله المتلو والمتعبد به وصفة من صفاته جل وعلا غير مخلوق؛ وهو الكتاب الوحيد الذي توكل الله جعل وعلا بحفظه من يوم النزول إلى يوم البعث؛ وهذا خلاف كتب الأمم الأخرى التي وكل الله لها حفظ كتبها؛ فنسيت حظًا مما ذكروا به؛ فحرفت كتبها؛ وهكذا فإن القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي نجا حتى يومنا من التحريف؛ ولقد نزل على قلب الرسول-صلى الله عليه وسلم- على مدار ثلاثة وعشرون عامًا عشر بمكة وثلاثة عشر بالمدينة مفرقًا غير منجمًا؛ لتأكيد اعجازه. وأعظم خدمة للقرآن في عصرنا هذا أن نقوم بتأدية الأمانة التي وكلت إلينا بنقل القرآن الكريم إلى الأجيال القادمة كما هو؛ وتعليمًا وحفظًا وفهمًا وتطبيقًا في الواقع العملي كمنهج حياة. جعلنا الله جميعاً ممن يقرأون القرآن ويتبعونه كمنهج حياة. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

9.11.ثبت مصادر ومراجع للاستزادة

أولاً: تاريخ جمع القرآن والرسم العثماني

- **محمد عبد العظيم الزرقاني :***مناهل العرفان في علوم القرآن*؛ مرجع أساسي في تفصيل مراحل الجمع والرد على الشبهات.
- **الدكتور غانم قدوري الحمد :***رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية*؛ يفيدك جداً في تأصيل "الرسم التوقيفي" الذي أشرت إليه في مقالك.
- **الإمام السيوطي :** *الإتقان في علوم القرآن*؛ موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بنزول القرآن وجمعه ولغته.

ثانياً: اللغة والآثار والنقوش القديمة

- **الدكتور جواد علي:** *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. لدعم نقطة اللهجات العربية القديمة واللغة العدنانية وعلاقتها باللغات السامية الأخرى.
- **الدكتور عبد العزيز صالح :** *دراسات في تاريخ العرب القديم*؛ مرجع مهم للربط بين الآثار وبين تاريخ الأنبياء في الجزيرة العربية، ويدعم ما ذكرته عن نقش حصن الغراب.
- **طه باقر:** *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة* .للمقارنة بين اللغات الأكادية والآرامية وعلاقتها بالعربية الفصحى.

ثالثاً: المخطوطات وأقدم المصاحف (الدراسات الآثارية)

- **الدكتور طيار آلتي قولاج:** (*المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه (نسخة طوبقابي سراي)*) .يعتبر أهم مرجع معاصر قام بتحقيق النسخ التي ذكرتها في استانبول.
- **صلاح الدين المنجد :** (*دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي)*. لتحقيق مراحل تطور النقط والشكل التي ذكرتها في العصر الأموي.

- **فرانسوا ديروش :(François Déroche)** (*القرآن الكريم من المخطوطات إلى المطبوعات*). مرجع غربي رصين يتناول الجانب المادي والأثري للمصاحف الأولى.

رابعاً: الرد على الطعون والشبهات

- **الدكتور محمد مصطفى الأعظمي :***تاريخ النص القرآني من النزول إلى التدوين: (دراسة مقارنة مع العهدين القديم والجديد*) .كتاب منهجي قوي جداً يرد على المستشرقين في قضية جمع القرآن.
- **أبو الحسن الندوي:(***تاريخ الدعوة والعزيمة*). لفهم السياق التاريخي والروحي للحفاظ على الذكر.

12.كيف انتقلت الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين؟!!!

12.الكلمات المفتاحية

" المدخل، خلافة الإستحقاق، الخلافة الشرعية، لقب الإمامة"



ذر محبوب عثماني ذهبي بطغراء السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع ضرب إسلامبول سنة 1115 هـ

2.12. التمهيد

تعد مسألة بحث إنتقال الخلافة من العباسيين القريشيين إلى العثمانيين الأتراك من المسائل الشائكة. وقلة قليلة من الباحثين التي تبحث في هذه المسألة من الناحية التأريخية المحايدة. لذا فإن منهجية هذا المقال ترصد المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة والمراجع في إطار علمي موضوعي. لقد تحولت إسلامبول لعاصمة الإسلام الكبرى ومركز الخلافة الإسلامية الوحيدة في العالم الإسلامي آنذاك. وإجتمعت البيعة على أسرة آل عثمان من السلاطين الأتراك سواء من المسلمين المقيمين داخل حدود الدولة العثمانية أو من خارجها. ولبحث هذه المسألة أكثر يجب أن نجيب على السؤال التالي؟ ما هي المصادر التاريخية المعاصرة التي تناولت انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين؟ وللإجابة على هذا السؤال فلابد أن نشرع في عرض المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة والمراجع الحديثة التي بحثت هذه المسألة.

3.12.كيف انتقلت الخلافة لسلاطين آل عثمان؟!!

1.3.12. خلافة الإستحقاق

لعل من أهم المصادر المعاصرة لإنتقال الخلافة من العباسيين القريشيين إلى العثمانيين الأتراك كتاب المؤرخ الأندلسي أبي تميم الإشبيلي *"الدر المصان بسيرة السلطان سليم خان"* الذي وصل إلى القاهرة في وقت دخول الجيوش العثمانية بقيادة السلطان ياوز سليم الأول لها عام 923هـ/1517م؛ حيث ذكر في كتابه: *" إن السلطان العثماني سليم خان الأول أحق من الخليفة العباسي بمقام الخلافة؛ وعلى هذا بايعه قضاة المذاهب الأربعة وعامة الناس. غير أن الخليفة العباسي المتوكل على الله الثالث بحضور مجلس القضاة بقلعة صلاح الدين الأيوبي لم يبايع السلطان العثماني سليم الأول على الخلافة غير أنه ظل صامتًا أثناء هذه البيعة من القضاة والأعيان والناس له؛ مما جعلها موافقة ضمنية من الخليفة العباسي من التنازل عن الخلافة للسلطان العثماني سليم الأول"*. غير أن أبي تميم الإشبيلي رغم تفسيره لموقف الخليفة العباسي ببيعة سليم الأول على الخلافة بالصمت كدليل موافقة لم يكن رأيه النهائي. إذ عاد وقرر في كتابه الدر المصان عدة شروط تجعل سليم الأول خليفة مستحق أي أحق من المتوكل على الله بالخلافة؛ وذلك تلافيًا أن يكون تفسيره لموقف الخليفة العباسي عن البيعة للسلطان العثماني على غير الصواب؛ لذا ذكر الأدلة التي تجعل السلطان العثماني سليم الأول أحق بالخلافة من الخليفة المتوكل على الله الثالث سواء بايع عن غير رضى أم لم يبايع فقال: *"إن شروط الخلافة متوفرة في دولة السلطان سليم الأول وفي شخصه؛ وهو ما لا يتوفر في الخليفة العباسي؛ ومن هذه الشروط أن السلطان العثماني أعاد وحدة العالم الإسلامي من جديد؛ وهذا هو الشرط*

الأول. وأما الشرط الثاني؛ أن السلطان سليم الأول قمع الحركات الشيعية الرافضية الباطنية في معركة جالديران 920هـ/1514م. وأما الشرط الثالث و الأخير فإن السلطان ياوز سليم هو صاحب سلطان الزمان "أي السلطان السياسي في الدولة العثمانية". وهو ما كان يفتقده الخليفة العباسي صاحب السلطان الروحي دون السياسي في دولة المماليك. ويوافق أبي تميم الإشبيلي في رأيه المؤرخ ابن النجيب المصري الشاهد على بيعة السلطان العثماني بالخلافة حيث ذكر السلطان ياوز سليم بألقاب الخلافة في وثيقة إصلاح ماليات وقف الغوري للسلطان سليم خان الأول فقال: *" وقد أمر أمير المؤنين وخليفة المسلمين السلطان العثماني ياوز سليم خان عز نصره صاحب الإمامة العظمى بما هو آت..."*؛ وبالرغم من هذا الإتفاق على بيعة سليم الأول بالخلافة من قبل المؤرخان العربيان الأندلسي أبي تميم والمصري ابن النجيب؛ غير أننا نرصد عكس هذا الرأي للمؤرخ الشامي ابن الطولوني الصالحي التركماني الذي يرفض في كتابه *مفاكهة الخلان في حوادث الزمان* اعتبار السلطان العثماني خليفة للمسلمين؛ ويصر على خلافة المتوكل على الله الثالث العباسي حيث يقول في حوادث سنة 926هـ/1520م: *" وخليفة المسلمين في هذا الزمان هو أمير المؤمنين المتوكل على الله العباسي"*.

وبين الطرفين المؤيد والمعارض لصحة خلافة السلطان العثماني ياوز سليم الأول نجد هناك رأي لمؤرخ آخر وهو مصري من أصل جراكسي وهو المؤرخ ابن إياس شاهد العيان على سقوط دولة المماليك الجراكسة بمصر. فعلى الرغم من غمزه ولمزه العثمانيين والسلطان سليم في كتابه *بدائع الزهور في وقائع الدهور* إلا أنه يقف على الحياد من موضوع انتقال الخلافة للعثمانيين. ويتحدث بأسلوب ضمني أن العالم الإسلامي أصبح فيه خليفتان الأول شرعي وهو العباسي والثاني مستحق وهو سليم الأول العثماني وفي ذلك يقول: *" بينما كان السلطان العثماني ياوز سليم خان عائدًا إلى إسلامبول أخذ معه الخليفة العباسي المتوكل على الله؛ فضجت العامة في مصر وقال المصريون اليوم انتقلت الخلافة من القاهرة إلى إسلامبول"*؛ فهو هنا لا يتحدث عن سليم الأول بألقاب الخليفة لكنه يصمت عنها؛ بينما يتحدث عن خروج الخليفة العباسي مع سليم الأول لإسلامبول؛ وهذا يعني ضعف رأي أبي تميم الإشبيلي في أن صمت الخليفة العباسي يعد تنازلاً للسلطان العثماني عن الخلافة. إذ لو كان ذاك ما أخذ السلطان سليم الأول الخليفة العباسي معه إلى إسلامبول؛ وهذا دليل على أن الخليفة العباسي لم يبايع سليم الأول على الخلافة؛ لذا تفاديًا لبيعة الخليفة العباسي وإهمالها وأنها ليست ذات قيمة اتجه أبي تميم الإشبيلي إلى المقايسة بين الخليفة العباسي والسلطان العثماني من ناحية شروط الخلافة؛ وأن السلطان العثماني استحق الخلافة استحقاقًا. وفي ذلك يقول ابن إياس: *" وقد تواتر الأخبار أن السلطان العثماني سليم الأول أعد قصراً وجواري وخدمًا وحشمًا للخليفة العباسي بإسلامبول بمعزل عن الناس؛ وأمر بالأ يخرج الخليفة العباسي خارجها"*.

2.3.12. الإستحقاق الشرعي

وبالمقابل نجد بعض الكتاب الأتراك يرددون أسطورة بيعة الخليفة العباسي للسلطان ياوز سليم مثل ياوز بهادر أغلو في كتابه *التاريخ العثماني بالرسم* حيث يقول: *" ولقد بايع الخليفة العباسي المتوكل على الله الثالث السلطان العثماني ياوز سليم خان على الخلافة في جامع آيا صوفيا. وأعطى الخليفة العباسي السلطان سليم الجبة والعمامة والسيف في حفل مهيب"*. ربما يكون السلطان سليم الأول قام بحفل تتوجيه خليفة للمسلمين في جامع آيا صوفيا بحضور الخليفة العباسي غير أن الخليفة العباسي لم يتنازل له عن الخلافة على الحقيقة. غير أنني لم أجد معلومات عن هذا الحفل. على النقيض من ذلك نجد الرحالة التركي أوليا جلبي ت.1094هـ/1682م في كتابه *سياحتنامه* في الجزء العاشر يذكر في فصل إنتقال الخلافة للعثمانيين: *"لقد تقابل السلطان العثماني سليمان القانوني مع الخليفة العباسي المتوكل على الله في إسلامبول وأقنعه بضرورة التنازل عن الخلافة للعثمانيين لجمع كلمة المسلمين؛ وأنه مقابل تنازله عن الخلافة سيترك له حرية السفر والعودة للقاهرة أو لأي مكان شاء. وأنه سيجري عليه معاشًا شهريًا. وبالفعل نزل الخليفة العباسي المتوكل على الله الثالث على رأي السلطان سليمان القانوني وفي حفلٍ مهيب بجامع أبو أيوب الأنصاري " خالد بن زيد الصحابي -رضي الله عنه-؛ أيوب سلطان" بايع الخليفة العباسي السلطان العثماني على الخلافة وألبسه العمامة والجبة وأعطاه سيف الخليفة الراشد عثمان بن عفان- رضي الله عنه-. وبذلك عاد الخليفة المتوكل على الله الثالث إلى القاهرة بعد أن زال خطر تهديده بتنازله في بيعة شرعية على الملأ عن الخلافة؛ وأجرى عليه السلطان سليمان القانوني معاشًا شهريًا حتى وفاته"*. لهذا السبب يعد السلطان العثماني سليمان القانوني أول خليفة مستحق وشرعي من السلاطين العثمانيين. وذلك لأن فرعي قريش في هذا الزمان الأول منهم الفرع العلوي بقيادة الشريف أبي البركات الحسيني شريف مكة قد بايع السلطان العثماني ياوز سليم على الخلافة وأرسل له أمانات الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه-رضي الله تعالى عنهم- إلى القاهرة عندما كان بها السلطان. وقد أخذها معه إلى إسلامبول ووضعها بقصر طوبقابي سراي؛ وتلقب السلطان العثماني ياوز سليم حينها بخادم الحرمين الشريفين؛ وبالمقابل أبقى السلطان العثماني سليم الأول وخلفائه من بعده على ولاية مكة في عقب الأشراف العلويين الحسينيين حتى الحرب العالمية الأولى. أما في عهد سليمان القانوني فقد بايع الفرع العلوي مرة أخرى عبر بيعة الشريف أبي البركات وزاد على هذه البيعة الفرع القريشي العباسي صاحب الخلافة؛ مما وطد موقف السلطان العثماني سليمان القانوني وحوله من خليفة مستحق إلى خليفة شرعي ومستحق منذ القرن الـ10هـ/16م. وقد أكد على بيعة الفرع العلوي الشريف الحسيني ونقل الأمانات المطهرة لإسلامبول

المؤرخ التركي صالح جولان في كتابه *العصور السته العظيمة*. غير أن ما يؤكد ما ذهب إليه الرحالة أوليا جلبي في تنازل الخليفة العباسي للسلطان سليمان القانوني عن الخلافة؛ عودة الخليفة العباسي بالفعل للقاهرة وعدم تلقبه بألقاب الخلافة بعد عودته وأخذه المعاش العثماني؛ حتى مات ودفن بقبة السلطانة المملوكية شجر الدر. ويؤكد صحة قول أوليا جلبي أيضًا علم الآثار حيث ذكر الباحث المصري محمد حامد الحسيني في رسالته العلمية للإجازة المساة *الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517-1798م* النص التأسيسي لسبيل خسرو باشا الوالي العثماني على مصر بشارع القصبة العظمى؛ حيث تلقب السلطان العثماني بلقب الخلافة الإمامة فيما نصه: *" أنشئ هذا السبيل المبارك في عهد الإمام سليمان القانوني على يد واليه على مصر خسرو باشا سنة 942هـ/1535م"*.

4.12. لقب الإمامة والصراع حول الخلافة

وحيث يذكر لقب الإمام في مسألة الخلافة فهو يدل على صراع حول الخلافة أو صراع بين الخلافة وأعدائها. حيث يذكر العلامة الآثاري المصري حسن الباشا في كتابه *الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار* بتصرف: *"أن أول من تلقب بلقب الإمام كان الخليفة أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- في أثناء حروبه للمرتدين. ثم تلاه الإمام علي بن أبي طالب في أثناء الصراع مع الصحابي معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- أثناء الإختلاف على طريقة القصاص من قتلة الخليفة الراشد الشهيد عثمان ذي النورين -رضي الله عنه-؛ ثم تبع ذلك استخدام الخلفاء العباسيين لهذا اللقب في أثناء قيام ثورتهم المسلحة على الخلافة الأموية وفي أثناء الصراع العباسي - الباطني العبيدي على الخلافة"*. ثم تبع ذلك تلقب السلطان العثماني سليمان القانوني به في أثناء صراعه مع إسماعيل الصفوي الشيعي في إيران منتحل النسب العلوي الشريف؛ لكي لا يبايع للخليفة العثماني على الخلافة. لهذا السبب ذهب بعض المؤرخين المعاصريين للسلطان سليمان القانوني على اثبات نسب سلاطين العثمانيين لسيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الفرع الأموي الذي لم يبايع لعدم وجود رأس لهم في ذلك الزمان. فبذلك تكون الخلافة باقية في قريش حيث أن الفرع الأموي هو الخليفة من جديد في شكل عثماني ببيعة علوية عباسية قريشية. ومن المؤرخين الذين ذهبوا لإثبات الأصل الأموي للسلاطين العثمانيين من فرع الخليفة الراشد ذي النوريين المؤرخ المصري أبي السرور البكري الشافعي حيث ذكر في كتابه *المنح الرحمانية في الدولة العثمانية* ما نصه: *" وسلالة سلاطين وخلفاء بني عثمان تنحدر في أصولها من الخليفة الراشد ذي النوريين عثمان بن عفان -رضي الله عنه-*. وأيد البكري في هذا الرأي المؤرخ المالكي الفقيه إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي في كتابه *قلائد العيقان في مفاخر آل عثمان*. غير أن المؤرخ عبد القادر بن عبد الله اليمني الهندي الأصل في كتابه *النور السافر عن أخبار القرن العاشر* والفقيه المورخ الحنبلي المحبي في كتابه *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في المجلد الأول* قد قالا: *" السلاطين العثمانيين من أصول تركية أيغورية وليسوا من العرب. ولكنهم مؤهلين في هذا الزمان لمقام الخلافة؛ لأن الخليفة العباسي المتوكل على الله والشريف الحسيني أبو البركات قد تنازلوا للسلاطين العثمانيين عن الخلافة وبايعوهم. كما أن سلاطين آل عثمان أحيوا الفتوحات الإسلامية وفريضة الجهاد؛ كما كانت في عصر الصحابة والمسلمين الأوائل -رضي الله تعالى عنهم-. كما قمع سلاطين آل عثمان أهل الرفض والباطنية. فهم أحق بالخلافة لذلك دون حاجة لانتحال النسب القريشي"*. لقد وقف السلاطين العثمانيين من إدعاء بعض المؤرخين نسبتهم لذي النورين موقف المحايد الذي لم يؤكد ولم يرفض؛ إذ ساعدتهم هذه الدعاية بين عوام المسلمين على كبح جماح إسماعيل الصفوي منتحل النسب العلوي الشريف. غير أن الثابت في الخلفاء العثمانيين أصولهم الأيغورية التركية. وقد تراجع المؤرخ أبي السرور البكري في موجز تاريخه عن *تاريخ سلاطين آل عثمان* عن نسبة العثمانيين لذي النوريين. ومن المعلوم لدى كافة المؤرخين أن الخلافة العثمانية خلافة سلطنة إذ أن العصر المملوكي كان يشمل على إزدواجية السلطة بين السلطان المملوكي صاحب سلطان الزمان السياسي؛ والخليفة العباسي صاحب السلطان الروحي الديني؛ غير أنه في العصر العثماني اجتمع السلطان السياسي والروحي الديني في شخص السلطان العثماني فقط لا غير. فهو السلطان وفي نفس الوقت الخليفة. وفي ذلك يقول د. محمد حمزة الحداد في موسوعة *العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي 923-1265هـ/1517-1848م*: *"وهكذا تحولت إسلامبول كمركز جاذب لكل الأعراق والأجناس وإجتمعت فيها الفنون البيزنطية والإسلامية المملوكية وانصهرت في بوتقة واحدة مع الفن السلجوقي الأناضولي؛ ليتكون الفن والمعمار العثماني الإسلامي الخالص المعبر عن شخصية الدولة العثمانية الجديدة في ظل ربقة الخلافة"*.

5.12.الخاتمة

ومما سبق يتبين لنا أن السلاطين العثمانيين كانوا خلفاء المسلمين على الحقيقة بالإستحقاق والبيعة الشرعية؛ وليس كما يدعي البعض.

6.12.ثبت المصادر والمراجع

- أبو تميم الإشبيلي، الدر المصان بسيرة السلطان سليم خان.
- ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور.
- ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان.
- ابن النجيب المصري، وثيقة إصلاح ماليات وقف الغوري.
- أوليا جلبي، سياحتنامه، الجزء العاشر.
- أبو السرور البكري الشافعي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية.
- إبراهيم بن عامر العبيدي، قلائد العقيان في مفاخر آل عثمان.
- عبد القادر بن عبد الله اليمني، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.
- المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.
- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار.
- محمد حامد الحسيني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517-1798م.
- محمد حمزة الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر 923-1265هـ.
- صالح جولان، العصور الستة العظيمة.
- ياوز بهادر أوغلو، التاريخ العثماني بالرسم.

13. علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بين الشرعية المفقودة والدولة السبئية المتغلّبة (دراسة استقرائية تحليلية في أسباب سقوط أول دولة انقلاب عسكري في تاريخ الإسلام)

1.13.أسباب زوال خلافة الكوفة

1- إنعدام الحراسة الأمنية الشخصية للخلفاء مثل عمر بن الخطاب وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم حيث كانوا يسيرون بين الناس كأفراد عاديين خشية أن يصابوا بالتكبر؛ مما سهل عمليات إغتيالهم من قبل المولي غير المسلمين والسبئية من أتباع الحاخام اليهودي الفارسي الأصل عبدالله بن سبأ بن السووداء نسبة لأمه الحبشية النصرانية؛ والمنسوب لقبيلة بني عامر بطن من بطون همذان باليمن. أما الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق فكان لا يسير مع من يعرف ولا يسير وحده إلا لخدمة الأرامل وكبار السن دون أن يراه أو يعرفه أحد. لذا لم يتمكن منه. كما أن الرسول-ص- قال ذات يوم وهو على جبل أحد مع الخلفاء الثلاثة "الصديق وعمر الفاروق وعلي بن أبي طالب أبا تراب" حينما أهتز بهم جبل أحد: " أي أحد أثبت فإن عليه خاتم الأنبياء وصديق وشهيدين". وقال رسول الله -ص- : " أي علي يقتلك أشقى هذه الأمة"؛ وهذا الحديث ترك أثرًا في نفسية علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إذ أنه رفض أن يتخذ حراسًا شخصيًا وقت الفتنة وكان يقول حينما يأس من أنصاره من أهل الكوفة متى يقتلني أشقى الناس؟ فكان ينتظر إغتياله بفارغ الصبر لينال الشهادة ولم يستعد لقتال من يتربص به ليقتله غيلة.

2- التوسع السريع في الفتوحات الإسلامية جعلت أممًا شتى تدخل تحت راية الإسلام منهم من أسلم صدقًا وصح إسلامه؛ ومنهم من لم يسلم أو أسلم نفاقًا ليتمكن من طعن الدولة الإسلامية من الداخل؛ هذا أدى إلى الجمع بين النمط العسكري التوسعي للدولة والشورى؛ إذا تحولت الخلافة من دولة محلية في جزيرة العرب إلى دولة عالمية ذات طابع عسكري دعوي؛ والطابع العسكري أميل للحكم المركزي الملكي أكثر من حكم الشورى؛ لأن مجتمعات هذا الزمان لا تتقبل الشورى وتداول السلطة فيما بين أفراداها؛ فكانت هناك حتمية إجتماعية لنقل السلطة من نظام الشورى إلى نظام ولاية العهد. وإن أتسمت ولاية العهد في عصري الأمويين وبني العباس بالجمع بين الشورى وولاية العهد بشرط أن يكون هناك أسرة عاضة على حكم الخلافة يختار منها الأصلح بإجماع المسلمين وأهل الحل والعقد. وهذا وفقًا لحديث رسول الله -ص- الله عليه وسلم-: *"أمركم من بعدي شورى فملك عاض فحكم جبري ثم يعود الأمر شورى من جديد على منهاج النبوة"*. ولا يعني الملك العاض نفي صفة الخلافة عن الدول الإسلامية التي تتبع نظام ولاية العهد وذلك لقول الرسول-ص-: *" لا يزال الإسلام عزيزًا إلى أثني عشر خليفة"* عدهم بعد المؤرخين وعلى رأسهم الإمام السيوطي فقالوا هم: *" أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن من الراشدين ومعاوية وعبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز من بني أمية والهادي وهارون الرشيد من بني العباس"*. وإن كنت أخالف تاريخيًا في هذا الترتيب إذ الحديث به التتابع وجل هؤلاء الخلفاء من الصديق إلى الخليفة هشام بن عبدالملك؛ وليس لبني العباس دخل بهذا الحديث.

3- ضعف مخابرات الصحابي علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- حيث لم يعد له الحظوة من مخابرات الصحابة وأربابهم رضوان الله عليهم الذين كانوا عمدة مخابرات الصديق والفاروق وعثمان ذي النورين؛ وذلك لعدة أسباب منها استشهاد كثير من الصحابة في فتوح البلدان؛ تفرق كثير من الصحابة في البلدان لنشر الإسلام وإنعدام خط التواصل بينهم وبين الخليفة الجديد؛ حيث أن أغلب من ولاه الخلافة قتلة سيدنا عثمان بن عفان-رضي الله عنه-؛ وهم ليسوا أهل ثقة ليراسهم الصحابة في شؤون الدولة وأحوالها. عدم تمكن الصحابي علي بن أبي طالب من أخذ البيعة لنفسه وحاول أخذها بالتغلب بالسيف ولم يتراجع عن موقفه إلا قبيل اغتياله؛ كذلك عدم تمكنه من عمل جهاز استخبارتي آمن للوصل بين الصحابة رضوان الله عليهم وبينه؛ وبخاصة بعد رفض أغلب الصحابة وأم المؤمنين السيدة عائشة

–رضي الله عنه- لبيعته بدون مجلس شورى. والمخابرات هي عين الدولة فإذا فقدت؛ فقدت الدولة بصيرتها في التعامل مع أعداء الداخل والخارج؛ لأنه بفقدها تصير الدولة عمياء. ولقد اتضح هذا في ثورة الأقاليم الشرقية من بلاد فارس على عمال سيدنا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إذ لم تأتيه أخبار رد تعين ولاته في المشرق إلا بمجيئهم إليه؛ مما أدى إلى اضطراب الجناح الشرقي للخلافة. وأما أهل الشام فلم يستطع أن يعرف بتحركاتهم إلا عند خروجهم من الشام لصفين لرد هجومه عليهم مع أهل العراق من أبناء المرتدين والسبئية وحميرراء الكوفة من بقايا شيعة كسرى الفرس؛ أما ما يدور في الشام وبين معاوية وأهلها وخبر جندها ومن أي القبائل؟ وعددهم؟ وتسليحهم؟ فلم يعلمه الصحابي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلا وقت صفين؛ وكانت المعلومات الواردة إليه ظنية وناقصة.

4- انتقال مركز الحكم من الحجاز حيث المدينة إلى الكوفة بعد بيعة قتلة ذي النورين عثمان بن عفان -رضي الله عنه للصحابي علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ؛ وذلك بعد بيعة بعض الصحابة له تحت التهديد بالقتل من قبل مالك بن الأشتر؛ كطلحة والزبير –رضي الله عنهم- على الخلافة على أن يقتص من قتلة عثمان بن عفان –رضي الله عنه- ويقيم عليهم الحد؛ وتشدد الصحابة على سيدنا علي بن أبي طالب في الإسراع بالقصاص من قتلة الخليفة الراشد عثمان؛ وهو يرجئ الأمر إذ أن الولايات وعلى رأسها الشام لم تبايعه وقتلة سيدنا عثمان عدد أنصارهم لا يقل عن 6000 مقاتل فإن أقتص من رؤسائهم عاجلا دون رأب صدع الأمة انقضوا على الصحابة وفتكوا بهم بالمدينة؛ فقرر سيدنا علي لذلك الانتقال للكوفة ظناً منه أنها ستكون مقر أنصاره إلا أنه حدث عكس ذلك؛ إذ أنهم حكموا باسمه وهو لم يحكم؛ وقد ندم على ذلك في نهاية حياته.

5- تبقي قلة قليلة من الصحابة حول سيدنا علي بن أبي طالب في الكوفة كمعاونين له كعبد الله بن عباس وعبدالله بن الخباب بن الأرت الشهيد وأبي موسى الأشعري وإن كره الإشتراك في قتال صفين؛ وأعتزل عن الحرب بين المسلمين بعضهم البعض ثم شارك في التحكيم نيابة عن سيدنا علي –رضي الله عنه- وهو لم يبايعه وذلك لأن قتلة الخليفة السابق ذي النوريين كانوا يرفضون استمرار القتال ضد معاوية –رضي الله عنه- فأجبوا عليًا أن يرسل أبي موسى الأشعري بدلا من ابن عباس رضي الله عنهما؛ والذي أعلن أن منصب الخلافة شاغر وأنه يرشح الصحابي عبدالله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما- لها ورشح عمرو بن العاص لمنصب الخلافة معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- فانسحب عبدالله بن عمر –رضي الله عنه- من هذا المنصب فأصبح معاوية سنة 38هـ في مؤتمر الجابية ببيعة 400 صحابي خليفة للمسلمين بالإجماع والتزكية؛ ثم ذهب إلى المسجد الأقصى وأخذ باقي البيعة من الولايات الإسلامية على الخلافة من هناك؛ وذلك لأن قتلة الخليفة الراشد عثمان –رضي الله عنه- بايعوا علياً في المسجد النبوي بناءًا على طلبه ليعطي لنفسه شرعية بعد أن بويع بحد السيف على يد قتلة ذي النورين ولم ينعقد مجلس شورى الصحابة لاختياره كخليفة؛ فأراد الشرعية لنفسه بالبيعة في المسجد النبوي؛ وقد تفطن ذهن معاوية بن ابي سفيان-رضي الله عنه- إلى هذه الحيلة؛ فأبطل بيعته بالمسجد النبوي ببيعة الصحابة والأقطار الإسلامية له في المسجد الأقصى المذكور في أول سورة الإسراء لما له من مكانة تنافس في النفوس مكانة المسجد النبوي الشريف؛ وبذلك ابطل معاوية حجة شرعية صحة بيعة علي بن أبي طالب-غفر الله له- على يد قتلة عثمان بن عفان –رضي الله عنه-في المسجد النبوي؛ مما جعل سيدنا علي -رضي الله عنه- يعيش بين أقوام ليس من قومه يتفاخرون عليه بأنهم سبب توليه الخلافة؛ ويرون أنفسهم أنهم أهل الفضل في ذلك. ويكثرون من العصيان حتى أنه عندما أثخن معاوية وأصحابه يوم صفين في جيش علي طلب-غفر الله له- طالب والي أذربيجان الأشعث بن قيس الكندي بوقف الحرب؛ بخاصة بعد أن فر كثير من قتلة سيدنا عثمان بن عفان من المعركة وتركوا الأشعث بن قيس وجند أذربيجان من القبائل العربية وحدهم يقاتلون المسلمون من معاوية والصحابة واهل الشام؛ فأنتبه الأشعث أنهم يريدون تفريغ البلاد من قيادات أهل

الإسلام فأجبر علياً على وقف الحرب؛ لأن من معه قد تركوه وفروا؛ وأما رواية أبي مخنف بأن معايو قد هزم فأقترح عمرو بن العاص رفع المصاحف على الرمح فهذه رواية شيعي موتور وضد الدليل التاريخي المادي لأن:

أ. مدينة صفين التي هي مدينة دير الزور بالجزيرة الفراتية بشمال شرق سوريا اليوم أغلب الوديان والهضاب فيها على اسماء قادة جيش معاوية؛ فالمنتصر هو من يسمي الأرض باسمه.

ب. لو كان النصر حليف علي بن ابي طالب لتقدم لكل مدن الشام ولدخل دمشق؛ بل العكس معاوية هو من تقدم للكوفة؛ وقبل أن يسلمها علي له؛ أغتيل من قبل عبدالرحمن بن ملجم الخارجي المرادي أخو الغافقي بن حرب بن ملجم المرادي قاتل الخليفة الرشد عثمان بن عفان-رضي الله عنه-.

ت. لو انتصر علي ما أوقف الأشعث بن قيس الكندي الحرب عندما انفض أهل الكوفة من حوله بعد اثخان معاوية وأهل الشام فيهم؛ ولانعدام عصبة علي بن ابي طالب –غفر الله له- نزول على قول الأشعث بن قيس والي أذربيجان من قبل الخليفة الشهيد ذي النورين؛ مما يدل على ضعف موقف علي وانهزامه.

ج. اجتماع التحكيم وإعلان أن منصب الخلافة شاغر وترشيح أشخاص آخرين غير علي وضع نقطة النهاية لدولة علي بن أبي طالب لكنه لم يضع نقطة النهاية لعصيان المتمردين والأقليات؛ ولكن عام الجماعة وتنازل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة أسكنهم إلى حين رأوا ضعفا في الخلافة فثاروا عليها بعد موت يزيد بن معاوية –رضي الله عنه-.

د. أما رواية أبي مخنف بأن عليا عندما رأى رفح المصاحف وهذا أمر لا يقبله عقل إذا أن المصاحف نصف طن من رق الغزال ولم تكن كثيرة النسخ ليحملها جيش معاوية معه لتعيقه؛ وأي حربة هذه واي جندي الذي سيحمل نصف طن من رق الغزال أعلى حربته؛ مما يدل على بطلان رواية أبي مخنف وابي عبدالرحمن الكلبي الشيعيان في تاريخ الطبري؛ كما ان استكمال روايتهم الشيعية على الرغم مما فيها من مغالطات تاريخية؛ يدل على اعترافهم النفسي بالحق وإن شوهوا الحقائق بأن علي كان غير مطاع فيما بين أنصاره حيث تذكر الرواية: " أن جيش معاوية عندما أوشك على الهزيمة أمر عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح لتحكيم القرآن ولوقف الحرب فيما بينهم وبين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فأمر خليفة (الكوفة) علي بتوقف القتال ضد معاوية وصحبه؛ رفض مالك بن الأشتر النخعي الإنصياع للأمر؛ واستمر في قتاله ضد جيش معاوية وهم يدفعونه حتى صاح الصحابي علي بن أبي طالب أن كفوا عن القتال". وهنا سؤال إن هؤلاء القتلة رفضوا تحكيم كتاب الله في القصاص منهم لقتلهم الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه- أفيرضون بتحكيم القرآن بينهم وبين معاوية-رضي الله عنه-؟

6- لقد نتج عن التحكيم الذي جرى بين علي بن أبي طالب وممثله سيدنا أبي موسى الأشعري وشيعة معاوية بن أبي سفيان وممثلهم عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم ارتفاع روح أهل الشام المعنوية وزيادة ثقتهم في معاوية بن أبي سفيان وتفرق كلمة أهل العراق؛ حيث أنشق الخوارج وقاتلوا سيدنا علي في موقعة النهروان سنة 37هـ ومن عاد منهم ولم يشترك في القتال بعد مناظرة عبدالله بن عباس-رضي الله عنه- لهم؛ أحدثوا الفتن في صفوف من لهم ولاء لسلطةعلي –غفر الله له- واضطرابات في الكوفة عاصمة دولة علي حينها؛ عبر الإشاعات والأكاذيب مع عدم وجود جهاز إعلامي يدافع عن سيدنا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إذ أنه حرم نفسه من هذا الجهاز الإعلامي حينما نقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى الكوفة بدون استشارة الصحابة -رضي الله عنهم- ففقد الكثير من الصحابة الذين يدافعون عنه. وأدى ذلك بخاصة بعد موقعة الجمل أن أعتزل كثير من الصحابة من أهل مشورة سيدنا علي بن أبي طالب الفتنة وعادوا إلى المدينة وبعد موقعة صفين تخلى أخي الصحابي علي؛ عقيل بن ابي طالب عنه وألتحق بمعاوية في الشام وبعد موقعة النهواند ومناظرة عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- للخوارج

تخلى عنه وإلتحق بمعاوية في الشام؛ حينئذ زادة وحدة علي بن ابي طالب النفسية؛ وبخاصة بعد مقتل نصيره الصحابي عمار بن ياسر في صفين.

7- عدم قدرة خليفة الكوفة علي على اختيار ولاة يكبحون جماح الثورات الخارجة عليه؛ إذ أنه أبقى أبو موسى الأشعري على ولاية الكوفة فرفض أبي موسى الأشعري الإشتراك في صفين أو في إعداد الجيش الذاهب إليها كي لا يكون له نصيب من دماء المسلمين. فذهب مالك بن الأشتر النخعي إلى أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه- وأخرجه من دار الإمارة وأعد الجند الذاهب لصفين من أهل الكوفة دون استشارة الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في شأن أبي موسى الأشعري. ولولا رفض أبي موسى الأشعري ترك الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وحده بين قتلة عثمان بن عفان ذي النوريين لتركه وعاد إلى المدينة المنورة.

8- عزوف كثير من الصحابة -رضوان الله عليهم- بعد موقعتي الجمل وصفين عن الإشتراك في السياسة؛ مما نتج عنه فقد سيدنا علي لكثير من قواعد المشورة من أهل الحل والعقد. فأصبح من حوله من أهل المشورة لا يعرف إن كانوا يحبونه وأهل صدق أم منافقين. إذ أن الصحابة الذين عايشوهم وعايشوه واشتركوا معًا في الجهاد زمن الرسول-ص- انعزلوا عنه وذهبوا إلى المدينة أو إلى معاوية خوفًا من الفتنة؛ كي لا يحاسبوا على دماء المسلمين التي أريقت بدون سبب؛ بسبب قتلة سيدنا عثمان بن عفان الخليفة السابق الراشد عقب الإنقلاب العسكري عليه؛ بسبب أنصار علي-غفر الله له-.

9- توقف الفتوحات الإسلامية والإنشغال بالفتن الداخلية؛ نتج عنه قلة المال في بيت مال المسلمين الرئيس في الدولة. والجند بحاجة إلى عطاء؛ مما أدى إلى تمرد بعضهم وإلتحاقه بالخوارج في أعمال السلب والنهب على قرى ومدن العراق؛ وبخاصة بعد انقطاع وارد المال من الشام ومن مصر. فبعد أن وصل إلى معاوية خبر مقتل محمد بن أبي بكر الصديق والي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على مصر؛ وتأخر علي بن أبي طالب في إرسال والي جديد إليها إذ أنه لم يجد من يثق فيه ليعينه على مصر؛ وتصادف ذلك مع ميل بعض من أهل مصر لرأي معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه- في القصاص من قتلة عثمان الخليفة الراشد بخاصة اهل منطقة خربتا في الأسكندرية. مما دفع معاوية إلى إرسال عمرو بن العاص فاتح مصر إلى مصر واليًا من قبله؛ ليأمن الجبهة الخلفية لظهير الشام؛ وليمنع محاصرة أهل العراق له؛ ويحفظ مصر من عدوان الروم إذ أن أهلها لهم ولاء لعمرو بن العاص-رضي الله عنه- أكثر من أي وال آخر مرسل إليهم؛ لهذا اختاره معاوية لمصر. وكذلك ليستقوي معاوية في الشام بمالية مصر وجندها إذ دعت الضرورة لذلك. وبذلك فقد فقد خلافة علي بن أبي طالب –غفر الله له- في الكوفة الجناح الغربي كاملاً من الخلافة إذ أن مصر حينها كانت تحكم ليبيا وتونس وشمال السودان؛ بينما جزيرة قبرص كانت تتبع الشام؛ مما يعني خروج الجناح الغربي من سلطان علي بن أبي طالب كاملاً.

10- دفع معاوية بن أبي سفيان المال لقيصر الروم مقابل التوقف عن مهاجمة ثغور الشمال في وسط الأناضول بمدن أضنه وقيصري وملاطية؛ لاسيما يرأب الصدع وتتحد الأمة من جديد وتستطيع رد الروم. بينما لم نجد خليفة الكوفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يتدخل فيما حدث بين معاوية وقيصر الروم؛ وذلك لإنعدام الرؤية في السياسة الخارجية للصاحبي علي بن أبي طالب بسبب كثرة الفتن الداخلية وضعف جهازه الإستخبارتي أو أنه ربما رأى فيما فعل معاوية الرأي الأصوب. فبينما كان لمعاوية جهاز استخبارتي صنعه لنفسه يرقب له كل صغيرة وكبيرة داخل وخارج الشام بمصر والعراق والأناضول والحجاز. افتقد الخليفة علي مثل هذا الجهاز ومن يثق بهم ليقوموا بعمله؛ وكانت الأخبار تأتيه محلية من الكوفة العاصمة أو متأخرة عبر الولاة العائدين إليه بعد ردهم من بلاد فارس كما سبقت الإشارة.

11- اتضاح الرؤية السياسية الدولية عند معاوية بن أبي سفيان؛ فبينما حاول قيصر الروم أن يستغل وضع الفتنة القائم بين المسلمين وأراد أن يرسل جندًا لنصرة معاوية ضد علي بن أبي طالب -رضي

الله عنه- فرد عليه معاوية قائلاً:" *أخان تشاجرا فما دخلك فيما وقع بينهما. ألا إن عاوت مراسلتي في هذا فسأصتلح أنا وابن عمي " علي بن أبي طالب" وسآتيك إلى القسطنطينية"* فكف قيصر الروم عن مراسلة معاوية، وأكتفى بالمال؛ فالفتنة بين المسلمين أفضل عنده من اتحادهم عليه. وهذا إن دل؛ دل على سياسة معاوية الخارجية رغم ضعف الدولة الإسلامية؛ بسبب الحرب الأهلية حينها إلا أنه أحسن الرد لقيصر الروم وأفزعه ليحفظ ماء وجه الدولة الإسلامية خارجيًا؛ وهذا لا يصب في مصلحة معاوية فقط بل في مصلحة دولة المسلمين عمومًا إذ أن معاوية وإن لم يبايع للخليفة الجديد فهو أحد ولاة الخلافة الراشدة منذ عصر الصديق لعثمان بن عفان رضي الله عنهم رسميا وفعليا وأحد ولاتها فعليا دون رسميًا في زمن سلطة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

12- دعوة الحاخام اليهودي عبدالله بن سبأ بن أبي السوداء اليمني إلى خلط الإسلام بالزرادشتية وتأليه وتقديس الصحابي علي بن أبي طالب؛ وإعتقال خليفة الكوفة علي بن أبي طالب له في سجن المدائن. وهروبه منه؛ يدل بما لا يدع مجالاً للشك إلى وجود تنظيم سري يهودي زرادشتي "مجوسي" متحد لإسقاط دولة الخلافة وتبديل الإسلام داخليًا. إلا أن وجود الصحابة والتابعيين ومعاوية وجهاز مخابراته أحال دون إتمام مشروع ابن سبأ في استبدال الإسلام الصحيح بالإسلام الزرادشتي اليهودي. وإن ترك ابن سبأ تأثيره فيما بعد في الحركات الشيعية المتعددة والمتنوعة. لذلك فالسنة هم الأمة وما دونهم فرق وطوائف. إلا أن ضعف مخابرات خليفة الكوفة علي بن أبي طالب مكن ابن سبأ من الفرار. ونتج عن كثرة حركات الزندقة في العراق وبلاد فارس وإلى عدم توفر الجند الذين يحتاجهم خليفة الكوفة علي بن أبي طالب للقتال إذ دعت الحاجة؛ حيث أن الزنادقة وأهل الكتاب لا يجندون في الجيش الإسلامي؛ وعلى النقيض من ذلك نجد أهل مصر والشام يتجندون بوفرة في جيش معاوية؛ مما نتج عنه وفرة الجند المخلصين لمعاوية؛ وبذلك عالج معاوية النقص في جنده وعجز عن ذلك الصحابي علي بن أبي طالب.

13- عدم اختيار مركز للخلافة بعد المدينة أفضل من الكوفة إذ أن اختيار الكوفة كعاصمة للخلافة كان اختيار غير موفق إذ كيف يذهب الخليفة إلى عقر دار قتلة الخليفة الذي سبقه ويتخذ من مقرهم عاصمة له وللخلافة؟! فالكوفة ليس لها منزلة المدينة المنورة في نفوس المسلمين. كما أن موقعها الجغرافي ليس على طرق التجارة والمواصلات العالمية حينئذ كدمشق. إذ أن الكوفة تقع في جنوب العراق؛ والمرور عليها مرور العابرين؛ فلو اتخذ الفسطاط بمصر فمن حوله سيكون أهل مصر كأهل الشام وعنده النيل والخيرات لرأب الصدع ولاستطاع أن يخضع المشرق والمغرب؛ وهذا من الأخطاء الاستراتيجية والجيوسياسية التي وقعت فيها دولة علي بن أبي طالب.

14- يرى سيدنا علي بن أبي طالب أن أختيار الإمام والأمير مقدم على القصاص؛ وهذا هو الأصوب في المجمل العام؛ بينما في المجمل الخاص كان القصاص أولى إذ أنك كيف تعتمد على من قتلوا الخليفة السابق قبلك في جندك ومجلس مشورتك؟! لأن هؤلاء القتلة كانوا بمثابة انقلاب عسكري زرادشتي يهودي متلفح بالإسلام اسمًا؛ وهدفهم القضاء على الإسلام قبل دولة الخلافة الراشدة. وهذا إن دل فإنه يدل على أن الخليفة علي كان مرغمًا من قبلهم. وهذا يتضح من كتاب نهج البلاغة المنسوب زورًا لسيدنا علي بن أبي طالب على يد الشريف الرضى منتحل النسب العلوي إذ يغلب على الكتاب السجع الأدبي العباسي. حيث أن هذا الكتاب يعد من أقدس كتب الشيعة ويذكر فيه رواية عن سيدنا علي بأنه كان يقول لشيعته: *"إن شيعة معاوية أفضل عندي منكم فإنه إن أمر أطاعوه؛ وأنا إن أمرت عصيتوني؛ ألا إنه لا يخشى على نفسه بينهم؛ وأنا أخشى على نفسي وأنا أسير بينكم"* ؛ وما بقاء بعض الصحابة حوله بالكوفة إلا ليمنعوه من غلية القوم الملطخة أيديهم بدماء ذي النوريين. بينما نجد معاوية يرى أن هؤلاء كما قتلوا الخليفة عثمان بن عفان وانتهكوا حرمة القرآن فما الذي يمنعهم من قتل علي بن أبي طالب وهو بينهم وهم يرون أنفسهم أهل الشوكة؟! لذا رفض معاوية أن يبايع علي حتى يتم القصاص.

15- حركة الاغتيالات التي قادها الخوارج حيث اتفقوا على اغتيال رؤس الأمة علي بن أبي طالب في الكوفة فقتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي سنة 40 هـ وقت صلاة الفجر ومحاولة اغتيال معاوية وقت صلاة الفجر بالمسجد على يد البرك بن عبدالله الخارجي إلا أن معاوية أصيب وقتل من قتله. ومحاولة اغتيال الصحابي عمرو بن العاص بمصر فمكث الخارجي عمرو بن بكر التيمي أمام داره ينتظره فلم يخرج لوعكة صحية أصابته وخرج صاحب شرطة عمرو بن العاص: خارجة بن حذافة للصلاة فقتله الخارجي ظنا منه أنه عمرو بن العاص-رضي الله عنه- فقبض عليه بعض أهل الفسطاط وأحضروا الخارجي لعمرو فقص عليه تدبيرهم فقتله؛ وأرسل بالخبر لمعاوية؛ فعلم منه أنه قد أصيب وأن خليفة الكوفة علي بن أبي طالب قتل.

16- بعد اغتيال الصحابي علي بن أبي طالب دخل جندب بن عبدالله عليه وقال له وهو يحتضر يا أمير المؤمنين أفنبايع الحسن فقال الإمام علي: *" ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر"* فبعدها توفى علي بن أبي طالب-غفر الله له- بياع الناس بالكوفة الحسن؛ فلما وصل الخبر لمعاوية باستشهاد الصحابي علي تمت بيعة ابنه الحسن في العراق؛ غير أن الحسن حشد الأجناد واستخلص لنفسه رجال صنع منهم جهاز مخابرات لنفسه من المقربين. وكان جنده أكثر من جند الشام عدة وعددًا. لقد أراد الحسن تلافي الأخطاء التي حدثت في عهد والده؛ غير أنه كان بالرغم من ذلك يستشير أصحابه في معاوية وخلقه وسلوكه. فأجمعوا عليه بأنه أمين وحي رسول الله-ص- وآخر كتاب الوحي وهو أقدر على كبح غمار الفتن وهو داهية العرب حينها قال الحسن -رضي الله عنه- *: " ذات يوم صعد الرسول-ص- على منبره بمسجده الشريف بالمدينة وقال وهو يشير إلى: " ابني هذا عظيم سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"* وقد حدث إذا صالح بين أهل العراق والشام. نلاحظ أن الحسن تبع سياسة والده في نهاية حياته في عدم تولي أحد من قتلة عثمان للولايات والأمصار وأكتفى الإمام علي بكونهم من مجلس مشورته ليظلوا تحت عينيه؛ إلا أن الحسن استبدلهم بخواصه؛ مما أوغر صدورهم عليه؛ مما دفعهم يعتدون عليه ويطعنونه في فخذه وينهبون أمتعته؛ ولولا ستر الله لهتكوا عرض زوجه أثناء استعداده للخروج للشام للقاء معاوية –رضي الله تعالى عنهم-. فقد رأى الحسن بن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- أن معاوية أقدر على الخلافة منه؛ فشاور أخيه الحسين فرفض رأيه؛ وشاور صديقه قيس بن سعد بن أبي وقاص؛ فمدح معاوية وصدق فيه القول؛ ورفض أن يتنازل له الحسن عن الخلافة. غير أن الحسن أصر وقابل معاوية بموضع بين الشام والعراق وتنازل له عن الخلافة سنة 41هـ وسمي هذا العام بعام الجماعة.

17- ببيعة الحسن لمعاوية تنتهي فترة دولة علي المحلية وبنيه في الكوفة مؤقتًا؛ إلى حين ثورة الحسين في كربلاء والتوابين والباطني مدعي النبوة والألوهية المختار الثقفي؛ غير أن أمر الحنين لمبدأ الشورى وتبادل السلطة بين أفراد الأمة دون ولاية العهد؛ لن ينتهي إلا بمقتل الخليفة عبدالله بن الزبير بن العوام سمة 73هـ لتنتقل الخلافة حينها إلى الملك العضوض في أسرة بعينها. فبينما معاوية أراد الخلافة لابنه يزيد فقط؛ لرأب الصدع وقبح الفتن باجتهاده بعد عزوف كثير من الصحابة-رضي الله عنهم- عنه؛ا نجد أن من أتى بعد معاوية هم من أرادوا حصر مبدأ الخلافة في أسرة عاضة على الحكم يختار الخليفة من بينهم؛ فالإثم يقع عليهم لا عليه والله تعالى أعلم.

18- وجود عصبة حاكمة قوية تستطيع أن تقود الأمة تمثلت في وحدة كلمة البيت العثماني-الأموي من قريش وتفرق كلمة البيت الهاشمي ممثلاً في الصحابي علي بن أبي طالب وأنصاره من الهاشميين. إذ أن كثيرًا منهم عزف عن الخوض في الفتن؛ مما مكن للعصبة الأموية من أن تتولى الحكم فيما بعد عن غير قصد من الهاشميين؛ الذي سيعمل الفرع العباسي فيهم فيما بعد تحت شعار "الرضا من آل محمد"؛ مع الاتحاد مع السبئية والخوارج والعجم مسلمهم وكافرهم بخاصة بوذي أفغانستان والعلويين على هدم الخلافة العثمانية الأولى فيما يعرف بالثورة الهاشية الكبرى على يد ابي مسلم الخراساني والتي تبدأ نشاطاها المسلح في خراسان عام 126هـ وسينتهي نشاطها باسقاط الخلافة العثمانية القريشية عام

132هـ بعد معركة الزاب الكبير في الموصل؛ والتي سيترتب عليها سقوط عاصمة الخلافة دمشق في أيديهم؛ وقتل آخر خليفة أموي بأبوصير الصعيد في مصر على يد قائد جيوش الخلافة العباسية عبدالله بن علي العباسي سنة 132هـ؛ ومازال قبره معروفًا إلى اليوم باسم ضريح سيدي المصلوب.

2.13.لماذا سميت الخلافة الراشدة بهذا الاسم؟

لقول الرسول-ص-: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" ففرق الرسول-ص- بين سنته الوحي غير المباشر المكملة للقرآن؛ وبين سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وسماهم الخلفاء الراشدين.

3.13.كم عمر الخلافة الراشدة؟

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:
سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:
"لا يزالُ هذا الدينُ عزيزًا منيعًا إلى اثني عشرَ خليفةً".
قال: ثم قال كلمةً صمّنيها الناسُ، فقلتُ لأبي: ما قال؟
قال: "كلُّهم من قريش". رواه مسلم.
وفي رواية: "لا يزال الإسلامُ عزيزًا إلى اثني عشر خليفة، كلُّهم من قريش". رواه مسلم.

لهذا عمر الخلافة الراشدة تبدأ من عهد الصديق عام 11هـ-35هـ ثم تنقطع خمس سنوات من 35-40هـ في الفتنة الكبرى ثم تستكمل 41-64هـ ثم تنقطع بالفتنة الكبرى الثانية من المختار الثقفي وابن الزبير من 64-73هـ؛ ثم تعود الخلافة الراشدة في ثوبها العثماني نسبة لذي النورين عثمان من عام 73-126هـ وهي الفترة التي تضم الخلفاء الأقوياء: (من أبي بكر الصديق والفاروق عمر وذي النورين عثمان وأمين كتبة الوحي وخال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية وعبدالملك بن مروان وابنائه الوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن عبدالملك وهشام بن عبدالملك والوليد بن يزيد الناقص وبقتله تنتهي قوة وعزة الإسلام إلى أثني عشرة خليفة كما بالحديث الشريف؛ ويفتح باب الفتح من جديد) والعزة هنا أن الإسلام تزيد أرضه ولا تنتقص ويطبق شرعه وسوق الجهاد قائم على قدم وساق وأمم الأرض تدخل في دين الله أفواجًا) وهذا خلاف ما سوف يحدث بعد تلك المرحلة الراشدة في العقيدة والجهاد. لهذا على خلاف حديث سفينة الموضوع أن الخلافة الراشدة ثلاثون سنة؛ وسفية ليس بصحابي ليسمع من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وذلك لشرعنة دولة بني العباس وثورتهم على الخلافة الأموية الشرعية؛ وهو حديث موضوع لغرض سياسي في المقام الأول وتناقله مؤرخوا بني العباس لتشويه الخلافة العثمانية الأولى التي أسماها العباسيين بالخلافة الأموية لينفروا الناس عنها. حيث نسبوا انفسهم لعم الرسول –صلى الله عليه وسلم- وابن عمه عبدالله بن عباس –رضي الله تعالى عنهم-؛ ليحببوا عوام المسلمين نفسيًا فيهم؛ ونسبوا العثمانية القريشة؛ المنسبون إلى الخليفة الراشد الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان الذي تستحي منه الملائكة؛ إلى أمية بن عبد شمس وأمية بن خلف المشركين لينفروا الناس عن دولة الفتوحات والدعوة وامتداد الخلافة الراشدة؛ وليبرروا لأنفسهم اغتصاب الخلافة بالسيف. وبذلك تكون الخلافة الراشدة وفقًا لحديث مسلم في صحيحه قد دامت 95 عامًا وستة أشهر أي ما يقارب من قرن من الزمان؛ ترسخت فيه قواعد الإسلام. وليس ثلاثون عامًا كما يدعي الشيعة العباسية وأنصارهم اليوم.

4.13. استدراك

أستعمل في هذا البحث مصطلح **الدولة العثمانية الأولى** للدلالة على الدولة التي اشتهرت في التدوين التاريخي اللاحق باسم **الدولة الأموية** .وليس المقصود هنا الدولة العثمانية التركية المتأخرة، وإنما النسبة إلى الخليفة الراشد الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ إذ إن هذه الدولة قامت، في أصل شرعيتها

السياسية، على مواجهة نتائج الفتنة الكبرى، والثأر لدم عثمان، وإعادة بناء السلطان الإسلامي بعد انهيار الإجماع السياسي ومقتل الخليفة الراشد. ومن ثم فإن وصفها بـ **العثمانية الأولى** لا يُراد به إنكار الاسم الشائع في كتب التاريخ، بل إعادة قراءة الأساس السياسي والرمزي الذي قامت عليه هذه الدولة؛ فقد كانت، في جوهر نشأتها، امتدادًا للشرعية العثمانية التي مثّلها عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، في مقابل التيارات المتمردة من المرتدين وأبنائهم والسبئية والأقليات التي أسهمت في قتله من المجوس المولي وغيرهم؛ ثم حاولت التحكم في مسار الدولة من بعده. ولهذا فإن تسمية هذه الدولة بـ **الأموية** وحدها لا تكشف كامل حقيقتها السياسية في بدايتها؛ لأنها تحصرها في النسب القبلي إلى بني أمية، بينما تكشف تسمية **العثمانية الأولى** عن بعدها الشرعي والسياسي المرتبط بدم عثمان رضي الله عنه، وبمحاولة استعادة وحدة الأمة وسلطانها بعد الفتنة. كما أن لفظ **العثمانية** بهذا المعنى ليس غريبًا عن التراث الإسلامي، فقد استُعمل للدلالة على التيار المدافع عن عثمان رضي الله عنه وشرعيته ومكانته، كما يظهر في كتاب الجاحظ **العثمانية**.

14.من أوراق التاريخ السياسي الإسلامي

استكمالاً لما نبدأناه في الحلقتين الماضيتين من التأصيل لفكرة فصل الدين عن السياسة والتي تمثلت في استغلال الحركات ذات الأصول اليهودية لأوضاع العالم الإسلامي قبيل عهد الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني وفي عهده تحديداً بلغ الصراع أشده في الفترة من (1876-1909م)، وبدأ السلطان الزمني ينفصل عن السلطان الروحي.

ولكن ليس كالعصر المملوكي بأن يتولى السلطان المملوكي تطبيق الشرع الشريف والخليفة العباسي بالقاهرة رمزًا للوحدة بين المسلمين ولإضفاء الشرعية على السلطان، وإنما عبر اقصاء الشرع الإسلامي عن منهاج الحياة واستبداله بقوانين وضعية لا تمت للعالم الإسلامي عموماً وبمصر خصوصًا بصلة حتى أن المحاكم الأجنبية المختلطة التي بدأت تطبق القوانين الفرنسية بمصر بدلاً من الشريعة الإسلامية في عهد الخديوي إسماعيل عام 1875م والتي ذاق منها الشعب المصري الأمرين واستمرت تلك المحاكم حتى تم إلغائها عام 1949م والتي مازال يعاني من قوانينها الشعب المصري حتى اليوم.

هذا الذي نبه الباحث السياسي الشرعي إسماعيل شكري خواجة في آواخر عهد الخلافة العثمانية إلى التنبيه إلى خطر القوانين الوضعية بأن الغرض منها تحطيم وحدة المسلمين الفعلية والروحية وتحطيم الخلافة الإسلامية بصورة تجعل من كل بلد إسلامي له إستقلالية عن الآخر ولا تقبل قوانينه التعامل مع قوانين البلد المسلم الآخر لأنه سيعد حسب مفهوم الدولة القومية القائمة على الشعوبية المحلية أو الإقليمية تهديدًا للأمن القومي المحلي حتى وإن كان هذا غير صحيح فهذا تركي وهذا عربي وهذا كردي والآخر باكستاني أو بلوشي ...وهكذا؛ حتى إذا حانت الفرصة وسقطت الخلافة كانت كل الحكومات التي عينها الإحتلال في الأصل بالعالم الإسلامي مقتنعة ذاتيًا بألا جدوى من وجود رابطة الخلافة الشرعية.

وهذا ما أكده رئيس الوزراء البريطاني عندما انتفض عليه أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي قائلاً: " **كيف تنسحبون من تركيا والمسلمون قد يجمعون الكلمة عليها من جديد"**، فأجاب رئيس الوزراء البريطاني حينها قائلاً: **"أنظر الفرق بين تركيا القديمة والحديثة فالأولى إسلامية والثانية قطعت علاقتها بالإسلام وألغت الخلافة"**؛ وما توقعه علماء المسلمين حينها كالشيخ محمد رشيد رضا من مصر والشيخ مصطفى صبري آخر مفتي للخلافة والشاعر الباكستاني محمد إقبال وغيرهم الكثير... قد حدث بنحر الخلافة عام 1343ه/1924م هذا ما دفعنا لأستكمال باقي وثيقة الباحث في السياسة الشرعية التركي إسماعيل شكري المعاصر لآواخر عهد الخلافة العثمانية قبيل القضاء عليها.

لما فيها من تجميع لأحكام الشرع الشريف في الخلافة والسياسة الشرعية فلإدارة شئون الحياة ولأنها تعد الرد على وثيقة وزير العدل التركي في عهد دولة كمال أتاتورك حول تبرير إلغاء الخلافة الإسلامية؛ وقد أسرد الكاتب أحداث مسلمي الأندلس وما جرى فيها من تناحر حتى أنه لم ينج منهم من قبضة النصارى إلا من رحم ربى وتحولت تلك الديار من الأندلس الإسلامية العربية إلى دولتي أسبانيا والبرتغال النصرانيتين اللاتينيتين.

أما الخلفاء العباسيون لما وهنوا وأصبحوا فى يد القادة العسكريين ضاعت هيبتهم فى نفوس الناس و أمام أعدائهم بل حتى أمام أنفسهم و إن حاول بعضهم أن يستردها ولكن بعد فوات الآوان فقد فقدت الخلافة سلطانها الزمني فى بغداد، وجاء الصليبيون من أوروبا إلى الشام وكونوا مستعمرات لهم، وسقطت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ومقر حكم خلفاء بنى العباس الهاشميين تحت أقدام خيل هولاكو بن بلطاى حفيد السفاح جانكيزخان المغولى فهرب أحد أبناء الأسرة العباسية وجاء إلى مصر.

وأكتفى بلقب **خليفة** فقط بدون حكومة؛ وبذلك خرجت الخلافة عن وضعها الشرعى، وبذلك أصبح الخلفاء مثل مشايخ الطرق الصوفية للتبرك بهم وضاعت الوحدة الإسلامية ذات الحكومة المركزية التي على رأسها الخليفة الذى يسوس أمور الرعية من المسلمين ... وغيرهم.

فانتشرت الفوضى فى أرجاء العالم الإسلامي وضاعت هيبة المسلمين من نفوس الأعداء و أنضوى بذلك كل معنى شرعي للخلافة تحت سلطان الحماية الذى فرضه سلطان المماليك على الخلفاء العباسيين، وبدأت صفحة الخلافة تسير إلى العدم هنا وفي تلك الظلمة الحالكة ظهر النور من جديد على يد **أسرة آل عثمان** وعلى يد السلطان سليم الأول الذي عمل مقام النيابة والخلافة عن **النبى -صلى الله عليه وسلم-** وذلك لتوافر شروط الخلافة لديه ولدى دولته خاصة من حيث :

1- ذهاب المنعة والنفوذ من قريش وهذا واضح فى حال الخليفة العباسي فى القاهرة المفروضة عليه الوصاية المملوكية مما يستدعى قيام أناس آخرين بالأمر بدلاً عنهم.

2- توافر العنصر الزمني لدى دولته من حيث عنصر الروح والقوة والقدرة المتمثلة في الحكومة التى يرأسها رئاسة فعلية، وفي الإنتصارات التي حققها على أعداء الأمة والفتوحات التى فتحت على يديه ويد خلفائه وعلى يد آبائه من قبل، وأعظمها تحقيق البشارة النبوية بفتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح وتوحيد كثير من الأقطار الإسلامية تحت سلطان دولته بعد أن كانت مبعثرة ودفع عنها الأعداء، حينها أدرك الخليفة العباسي المتوكل على الله الثالث الحقيقة و أن شروط الخلافة لا تتمثل فيه وأعطى كل لوازم الخلافة وجبة الخلافة في إسلامبول للسلطان سليم الأول وبذلك تنازل له عن الخلافة.

وللخلافة حسب العرف السائد شارات وعلامات فأما علاماتها فهي**"البردة والخاتم والقضيب"**، وأما شاراتها فهي **"الخطبة والسكة وشريط الطراز"**[1]، ودعى للسلطان سليم الأول بالخلافة والسلطنة فى آن واحد وصارت الخلافة من حينها فى الأسرة العثمانية، ولقد حاولت الدول الأوروبية نزع الخلافة عن هذه الأسرة مرة بثورة الشريف حسين بن على تحت دعوى أنه قريشي هاشمي، وذلك بظلال إنجليزية فرفض المسلمون ذلك لأن الخلافة بذلك تكون فقدت معناها الشرعي، فلا يعقل أن يقبل خليفة مثل الشريف حسين الذى يقع تحت الوصاية البريطانية فخليفة المسلمين يعين لهم من لندن أو باريس يا لها من مهزلة، ولذا فإن تنصيب الخليفة كان أمراً ضرورياً بالنسبة للحكومة العثمانية وبالنسبة للعالم الإسلامي.

فهم فقط اللذين بأيديهم أن يوحدوا كلمة المسلمين، وذلك لأن المسلمين فى جميع أنحاء العالم مبايعين لأسرة **آل عثمان** على الخلافة ومجمعون عليها وهذا ما حاول فعله السلطان عبد الحميد الثاني فى دعوته للجامعة الإسلامية وفي إعلان صيحة الجهاد المقدس ضد إنجلترا وفرنسا مما قض مضاجع الجيش الإنجليزى فى الهند المسلمة و هدد نفوذ الفرنسيين فى الجزائر المسلمة .

ولابد من توافر البيعة للخليفة فيختار من أسرة آل عثمان للخلافة من يتصف بأنه دينا والأكفء سناً وعقلاً وخلقًا وقوة وعزم وحزم على أن يشترط فى بيعته الإيجاب والقبول، فأما الإيجاب يكون من أهل الحل والعقد فى العالم الإسلامي، وأما القبول يكون من ذي الكفاءه واللياقة فى العالم الإسلامي .

ولابد من توافر شروط الفقهاء فى الخليفة أما بالبيعة وأما بالتعيين وهذان الأمران ليسوا من الأمور الأصولية فى العقيدة، ولكن يتم الأعتماد عليهم حسب ما تقتضى مصالح الأمة، فنجد فى العصر الراشدي الخليفة أبى بكر الصديق أختير فى سقيفة بنى ساعدة بالبيعة لأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ترك الأمر شورى بين الصحابة.

بينما الخليفة عمر بن الخطاب تم إختياره بما يشبه ولاية العهد والخليفة عثمان تم إختياره من أهل الشورى الستة اللذين أختارهم عمر بن الخطاب قبل وفاته وأوصاهم بأن يختاروا واحد من بينهم فتم اختيار الخليفة الراشد عثمان بن عفان "رضى الله عنه" ثم جاء على بن أبي طالب على سيوف الانقلابيين قتلة الخليفة الراشد ذي النورين عثمان ؛ ثم تولى الخلافة بالبيعة الشرعية اجماعاً في مؤتمر الجابية جنوب دمشق بعد التحكيم عام 38هـ معاوية بن أبي سفيان ثم أخذ البيعة لنفسه من المسجد الأقصى مسرى

---

1 خالد عبد الكريم، مسكوكات الخلافة الإسلامية والدول التابعة لها من القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن السادس الهجري، مكتبة علاء الدين، القاهرة، 2008م، ص3.

الرسـول-صـلى الله عليه وسـلم-وتم اختياره بالإنتخاب فلما وأدت الفتنه الكبرى واجتمع المسـلمون فى عام الجماعة على مبايعة سـيدنا معاوية بن أبي سـفيان بالخلافة اختار لمقام الخلافة نهج جديد ألا وهو ولاية العهد مع الحفاظ على نظام البيعة في الإسلام.

فلما أعترض بعض الصحابة الصحابة أوضح لهم إن ترك أمر الخلافة للشورى وجعل الأمة بلا حاكم قد يفتت وحدة الجامعة الإسلامية، ولقد احتكر منصب الخلافة على أسرة واحدة هى أسرة بنى أمية على أن يتم اختيار الخليفة لولاية العهد ممن تتوفر فيه شـروط الخلافة فإن لم تتوافر فى أحد أبنائه أختير من أحد أفراد الأسـرة ممن تتوافر فيهم القدرة والكفاية كما فعل الخليفة سـليمان بن عبد الملك الأموي باختيار بن عمه عمر بن عبد العزيز الذى أعتبره الفقهاء خامس الخلفاء الراشدين، ومن ثم فإن مجلس الأمة الإسلامية الكبير من أهل الحل والعقد و العلم من حقه إختيار الأنسـب والأصـلح من آل عثمان للخلافة وهذا هو الطريق الأوفق للوقت الراهن (أي زمن كتابة الوثيقة عام 1338ه) .

وبذلك تضيع الفرصة على الأوروبيين واليهود فى إضعاف الأمة الإسلامية بضياع الخلافة وإسقاطها، وحق الخليفة ليس سلطان إلهي كما يقول الأوروبيون وإنما هو مكلف بإقامة الشرع فحسب.

كما سـبقت الإشـارة إلى ذلك لذا فالخليفة فى الإسـلام ليس معصـوماً كالبابا، كما أنه لا يملك صـلاحية وضع الشريعة والخليفة فى الإسلام ليست له حاكمية، وإنما الحاكمية لشرع الله تعالى، والخليفة تابع للشرع وليس له أي حقوق تزيد على أفراد الأمة، ومن هنا فالخليفة رئيس السـلطة التنفيذية أما السـلطة التشـريعية فهي من إختصـاصـات مجلس الشعب الإسـلامي الكبير الذى يتم إستنباط الأحكام الفقهية فيه من الشـريعة الإسلامية حسب كل مسألة وليس للخليفة الحق فى التدخل سوى بترجيح رأي على رأي والعمل به .

ويجوز تعيين وزير تفويض يسـاعد الخليفة فى الحكم ولكن بشـروط تقيد وزير التفويض حتى لا تختل مصالح الدولة والعباد .

<u>***وللخليفة القيام بالوظائف التالية :**</u>

1- إعلان الجهاد وقيادة الجيوش بعد تعبئة الأمة لذلك .

2- عزل الولاة وتقيدهم أو فتح المجال لنفوذهم حسب مصلحة الأمة والولاية .

3- إمامة الصلاة الجامعة .

4- رئاسة مجلس الشعب الإسلامي الكبير **وليس التركي كما ذكر صاحب الوثيقة وقد نلتمس له العذر بأنه قد يكون قد جنح به القلم أو نسي أثناء كتابة ذلك .**

5- انتخاب وتعيين أمير الحج لأن الخليفة خادم الحرمين الشـريفين ولا معنى لنفوذه الروحي على العالم الإسلامي بدون إشرافه على الحج ودخول مكة والمدينة المنورة والقدس داخل دولته .

6- لابد عند انتخاب كل ولاية لواليها من موافقة الخليفة عليه ومن حقه عزله .

وهكذا أتضح للقارئ الكريم بأن الدولة العثمانية تحولت إلى خلافة إسلامية منذ عام 923ه واستمرت تقوم بهذا الدور إلى أن سقطت فى عام 1343ه، كما نرجو من خلال هذا البحث أن نكون قد أزلنا الإبهام عن السر فى تمسك الخليفة العثماني بلقب سلطان فى بداية عهد الخلافة بدلا من لقب خليفة، كما أن هناك جزء من الوثيقة لم يتم شرحه منعًا للتكرار لأنه قد أتضح بالأدلة فى القسم الأول من هذا الفصل، وكنا نرجو أن يبحث **د. محمد الصلابى فى كتابه "الدولة العثمانية عوامل النهوض وعوامل السقوط"** بدلاً من بحثه القصير جداً فى هذا الموضوع الهام، و الذى لم يكمل الصفحة كما نرجو أن يكون قد وصل القارئ إلى اقتناع بالهدف المرجو من بحث تلك المسألة الخطيرة لأن الخليفة بعد زوال وحدة المسلمين يعبر عنه الآن بالنسبة للتقسيم المحلي الداخلي رئيس الجمهورية المنتخب أو الملك أو السلطان في الملكيات الحديثة أو الأمير في الإمارات الصغيرة كإمارة دولة الكويت وإمارة دولة قطر...وغيرها.

15.الدول الإسلامية الكبرى "الأموية والعباسية والعثمانية"

هل كانت خلافة أم سلطنة؟

1.15.التمهيد

الخلافة هي صمام الأمان الذي حافظ على وحدة المسلمين وتضامنهم على مر السنين كأمة واحدة؛ نتج عن هذه الوحدة إخماد نيران أعداء الأمة لفترات زمنية طويلة؛ وزرعت وحدة الأمة بمفهومها الخلافي الخوف في قلوب أعدائها؛ فلما انتهت هذه الوحدة بانهيار منظومة الخلافة في صورتها الأخيرة السلطنة العثمانية؛ ضاعت فلسطين و بلاد التركستان وكشمير والعراق وسوريا ولبنان واليمن وليبيا؛ وغاب الإسلام عن أغلب بلاد البلقان؛ وبخاصة في البوسنة والهرسك وتميع مفهومه في مصر وسالت دماء المسلمين في أفغانستان وآركان "بورما" أنهارًا وعمت الاضطرابات أغلب البلاد الإسلامية؛ مما مكن أعداء الأمة من القوى الإمبريالية العالمية وحلفائها من غزو البلدان الإسلامية؛ وخلق بيئة مضطربة فيها عبر القيادات العميلة لأعداء الأمة شرقاً وغربًا؛ والذين يحولون دون وحدة الأمة من جديد. لهذا السبب منذ نهاية العقدين الماضيين من القرن الـ14هـ/20م وحتى اليوم تحولت خريطة العالم الإسلامية إلى اللون الأحمر المخضبة بدماء الأبرياء. في إطار كل هذه الاضطرابات يُناقش البعض دائمًا مفهوم الخلافة؛ وهل كانت

هناك علاقة بين الخلافة والملك والسلطنة؟! فمعظم المسلمين اليوم مختلطة لديهم المفاهيم حول ماهية الخلافة. لذلك سنحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على مفهوم الخلافة؛ ولكن قبل ذلك يجب تصحيح الخلط الواقع في أذهاننا بين مفهوم الخلافة الراشدة والخلافة الملوكية وخلافة السلطنة.

2.25.معنى الخلافة

عندما نقول الخلافة ، نكون قد ذكرنا نقطتين رئيسيتين. الأولى هي حاكم الدولة الذي يتمثل في شخص الخليفة وطريقة اختياره عن طريق الشورى أو الجمع بين الشورى وولاية العهد كنظام الخلافة الملوكية أو البيعة وولاية العهد عبر مجلس أهل الحل والعقد كنظام خلافة السلطنة؛ في نظامي الخلافة الملوكية كالأمويين والعباسيين ونظام خلافة السلطنة كالعثمانيين نجد العامل المشترك هو وجود أسرة عاضة على الحكم يختار من بين أفرادها الخلفية شورى أو تعيناً. أما النقطة الثانية فهي الحكومة؛ أو بمعنى آخر شكل النظام السياسي الذي يحقق وحدة العالم الإسلامي بين المسلمين جميعًا مهما أختلفت أعراقهم وألسنتهم؛ لهذا يختلف نظام الخلافة السياسي عن أي نظام سياسي آخر؛ فالنظام السياسي الخلافي يحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدنيوية؛ وهو خلافة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

وصف نبينا ﷺ فترات الخلافة كما يلي في الحديث قال رسول الله ﷺ: << الْخِلاَفَةُ فِي أُمّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ>>.[1] وفي الحديث الآخر المروي عن الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً في المسجد فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة. فقال حذيفة قال رسول الله ﷺ: <<تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت>>.[2] وبناء على هذه الأحاديث فتكون فترة الخلافة الراشدة قد اكتملت بخلافة السبط الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- الثلاثين عامًا؛ والتي تبدأ منذ وفاة الرسول ﷺ في ربيع الأول من السنة الـ11هـ وتنتهي فترتها بتنازل الإمام الحسن إلى الصحابي معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- عن الخلافة في النصف الأول من عام 41هـ والذي عرف بعام الجماعة؛ لإجتماع كلمة المسلمين على خليفة واحد. وتقسم الأحاديث الفترة الإسلامية إلى خمسة فترات زمنية رئيسة الأولى فترة النبوة، والثانية فترة عهد الخلفاء الراشدين، والثالثة فترة الملك العضوض، والرابعة فترة الحكم الجبري "أي الحكم بغير ما أنزل الله"، والخامسة والأخيرة عودة الأمر خلافة على منهاج النبوة من جديد.[3]

2.15.علاقة نظام الخلافة بأنظمة الملك والسلطنة

كما تبين من الأحاديث السابق الإشارة إليها أن الرسول ﷺ تحدث عن أمور مستقبلية للنظم السياسية التي ستحكم العالم الإسلامي؛ ولو جمعت الآحاديث السابقة مع أحاديث أخرى تبحث في نفس الموضوع لاتضحت الصورة أكثر حول مفهوم الملك العضوض؛ وهل يدخل تحت مفهوم الخلافة أم لا؟ وعن أَبي هريرةَ – رضي الله عنه- قَالَ: قالَ رَسُول اللَّه ﷺ: <<كَانَت بَنُو إسرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ

---

[1] أبو داود، السنن، 12 / 259.

[2] الترمذي، السنن، 6 / 395-397.

[3] علي محمد الصلابي ، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الإمام حسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ترجمة جيفرين هارون أونال وآخرون ، منشورات رافزا، اسطنبول ، 2018 ، ص 418 ، 419.

خَلَفَهُ نَبيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدي، وسَيَكُونُ بَعدي خُلَفَاءُ فَيَكثُرُونَ>>، قالوا: يَا رسول اللَّه، فَما تَأْمُرُنَا؟ قَال: << أَوفُوا بِبَيعَةِ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعطُوهُم حَقَّهُم، وَاسأَلُوا اللَّه الَّذِي لَكُم، فَإِنَّ اللَّه سائِلُهم عمَّا استَرعاهُم متفقٌ عليه>>.[4] وفي الحديث الآخر قوله: فتكثر. دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيرًا، وأيضًا قوله: وفوا بيعة الأول فالأول دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا، وقوله: فأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم دليل على مذهب أهل السنة؛ فى إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم ، فمعاوية - رضى الله عنه- أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كانوا قبله خلفاء نبوة، وأما هو فكانت خلافته ملكًا، وكان ملكه ملكًا ورحمة، وكان فى ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين، ما يعلم أنه كان خيرًا من ملك غيره، ومعاوية -رضى الله عنه- وإن كان عالمًا ورعًا عدلاً، دون الخلفاء الأربعة فى العلم والورع والعدل، كما ترى من التفاوت بين الأولياء؛ بل الملائكة والأنبياء، فإمارته وإن كانت صحيحة بإجماع الصحابة وتسليم الحسن - رضى الله عنهم- له؛ إلا أن خلافته ليست على منهاج خلافة من قبله، فإنه توسع فى المباحات، وتحرز عنها الخلفاء الأربعة، وأما رجحان الخلفاء الأربعة فى العبادات: والمعاملات فظاهر مما لا سترة فيه. وقد حدد ابن خلدون مدى التغير الذى حدث، فقرر أن الخلافة وإن كانت تحولت إلي ملك، فإن معانى الخلافة قد بقيت -بعضها- وإنما كان التغير فى الوازع فبعد أن كان دينًا انقلب عصبية وسيفًا؛ يقصد بذلك أنه بعد أن كان الناس يتصرفون بوازع الدين، والخلافة شورى، صار الحكم مستندًا إلى العصبية والقوة، ولكن معانى الخلافة أى مقاصدها وأهدافها بقيت أى أن غايات هذا الملك كانت لا تزال تحقق مقاصد الدين والحكم وفق الشريعة الإسلامية بالعدل وتنفيذ الواجبات التى يأمر بها الإسلام: أى أن الحكم أو الملك استمر إسلاميًا وشرعيًا.

3.15.الغرض من البحث في مسألة نظم الخلافة

الغرض من البحث في مسألة مفاهيم نظم الخلافة هو إزالة اللبس الذي يتعرض له كثير من المسلمين اليوم من الظن أن الخلافة سقطت بانتهاء الخلافة الراشدة. ولقد لخص ابن خلدون الأدوار التى مرت بها الخلافة فقال: "فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً، ثم التبست معانيها واختلطت بالملك، ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار"؛ فالدور الأول الذى يشير إليه ابن خلدون هو عصر الخلفاء الراشدين وهو عصر الخلافة الخالصة أو الكاملة، والدور الثانى فينقسم إلى قسمين الأول هو عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين وهو العصر الذي اختلطت فيه الخلافة بالملك، والثاني هو عصر الملك المختلط بالخلافة -أي العصر العثماني- وكان الغرض من هذه النظم مهما اختلفت فيها طريقة اختيار الخلفية هو تحقيق مقاصد الخلافة، أما الدور الثالث فهو عصر الملك المحض الذى صار بقصد ذات الملك والأغراض الدنيوية، وانفصل عن حقيقة الخلافة أو معانيها الدينية، فهذا وصف أو تفسير ابن خلدون المؤرخ الفقيه للتطور الذى حدث والأدوار التى مرت بها الخلافة .

إن الخلافة الحقيقية أو الكاملة أو خلافة النبوة استمرت ثلاثين عامًا وهو عصر الخلفاء الراشدين، ثم تحولت إلى ملك عضوض، ولكن لكى نعبر عن الحقيقة يجب أن يراعى هذا التحديد، وهو أن الخلافة لم تنته أو تذهب كلية، وإنما بقيت معانيها أو مقاصدها، وأن التغيير حصل فى الأساس الذى قامت عليه، أما حقيقتها فقد بقيت، فالتغيير إذن لم يكن كليًا ولكن جزئيًا: أى أن الخلافة فى العصر الأول كانت هى الخلافة الكاملة المثالية، ثم نقصت عن المثال من وجه أو بعض الوجوه، لكن معظم عناصرها بقيت، فهى خلافة

---

[4] البخاري، الصحيح، حديث رقم: 3455.

أقل في الرتبة أو خلافة مختلطة بالملك، والرأى العام فى الإسلام يتمسك بالمثال، أو خلافة النبوة، أو الخلافة الكاملة، وهى تلك التى تقوم على الشورى والاختيار التام من الأمة، وأنه إذا كانت الظروف الواقعية والعوامل الاجتماعية قد حتمت أو أدت إلى هذا التطور، فإن تحمل ذلك أو قبوله لا يكون إلا مؤقتًا أو من باب الضرورة، ولكن يلزم أن يكون المثل الكامل حاضرًا دائمًا فى فكر الرأى العام، وبمجرد أن تزول تلك العوامل والظروف تجب العودة إلى تحقيق المثل الكامل، ولذا فإن الكتابات الإسلامية الأصيلة ظلت ملتزمة ومتشبثة بالمثال الكامل ولا تستخلص مبادئها إلا منه، وتفرق بين الخلافة وهى الخلافة الحقيقية الشرعية، والخلافة الواقعية في نظاميها الملوكي والسلطني وهي النظم التي بعدت قليلاً أو كثيرًا عن الحقيقة. وقد ذكر ابن تيمية: أن مصير الأمر -أى الخلافة- إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة والأمراء ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص فى الراعى والرعية جميعًا، فإنه كما تكونوا يؤوَّل عليكم وقد قال الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} [الأنعام: 129]. لقد ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكًا ظهر النقص فى الأمراء، وكذلك فى أهل العلم والدين وجمهور الصحابة- رضوان الله عليهم- انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يبق من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا فى أواخر عصر أصاغر الصحابة – رضي الله عنهم- فى إمارة عبدالله بن الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعى التابعين انقرضوا فى أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية .وقد روى جابر بن سمرة رضى الله عنه: دخلت مع أبى على النبى ﷺ، فسمعته يقول: <<إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة>>، قال: ثم تكلم بكلام خفى علىَّ، قال: فقلت لأبي: ما قال، قال: <<كلهم من قريش>>، زاد أبو داود فى سننه، بإسناده عن جابر رضى الله عنه قال: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: <<ثم يكون الهرج >>. وقد شرح ابن كثير هذا الحديث فقال: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثنى عشر خليفة صالحًا يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى -رضى الله عنهم-، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بنى العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدى المُبشَّر به فى الأحاديث الواردة بذكره. وليس هذا بالمنتظر الذى تتوهم الشيعة الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء؛ فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الأثنى عشر الأئمة الاثنى عشر الذين يعتقد فيهم الشيعة الجعفرية فإن هؤلاء لم يكن منهم خليفة سوى الإمام علي بن أبي طالب وابنه الحسن-رضي الله عنهما- فقط؛ كما أن الثاني عشر منهم أسطورة كما سبقت الإشارة. وإضافة لمن ذكرهم ابن كثير نضيف خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن - رضى الله عنه-، وبالنسبة لمرحلة الخلفاء الاثنى عشر فإنه استنادًا إلى الوجه الذى ذكره ابن كثير، فإن هذه المرحلة تمتاز بأن مداها الزمنى يتخلل المراحل الأخرى كلها، وخلفاء. هذه المرحلة يكون ظهورهم فى الأمة متتابعًا ومتفرقًّا وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة- ويبدأ ظهورهم من وفاة الرسول ﷺ أى بخلافة أبى بكر -رضى الله عنه-، وتكتمل هذه المرحلة بظهور آخرهم فى آخر الزمان حيث يعقب خلافته الهَرْج، وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحلة سادس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-، ولما كان معاوية -رضى الله عنه- الصحابي أفضل من عمر بن عبد العزيز التابعي فهذا يعنى دخول معاوية -رضى الله عنه- فى خلفاء هذه المرحلة الأثنا عشر، هذا والله تعالى أعلم.[5]

[5] علي محمد الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي، ص 420.

3.15.الفترة المثالية: الخلافة الراشدة

في هذه الحالة ، وبعد ثلاثين عامًا تحولت الخلافة إلى ملك عضوض أي إلى أسرة عاضة على ملك الخلافة، وعلى الرغم من أن الخلافة الملوكية تقترب أكثر من نظام خلافة الشورى حيث جمعت بين الشورى وولاية العهد والبيعة، إلا أنها قد فقدت ميزة كونها فترة مثالية بالمعنى الكامل لمفهوم الخلافة الراشدة؛ لذلك يمكن أن نطلق على هذه الفترات "الشكل الأدنى للخلافة" أو "فترات خلافة الملك والسلطنة". ففي عهد الخلفاء الراشدين، الذين طبقوا الإسلام بقيمه المثالية؛ استندت الخلافة إلى الشورى المطلقة عبر ممثلين للأمة. مع مرور الوقت وتغيير بعض الظروف السياسية والاجتماعية تغير أسلوب اختيار الخليفة كضرورة لرأب الصدع بين الأمة بعد الفتنة الكبرى فنجد أن الخلافة استندت إلى أسرة عاضة على الملك يعين منها ولي للعهد وعلى الأمة أن تقبله أو ترفضه؛ لكن لا يحق اختيار الخليفة من خارج هذه الأسرة كالأمويين والعباسيين الأوائل؛ فعرفت هذه الفترة بالخلافة الملوكية؛ ثم تبع ذلك أن يتم اختيار الخليفة عبر التعين بولاية العهد وعلى أهل الحل والعقد قبوله أو رده دون مشاركة الأمة في اختياره وهذا ما عرف بخلافة السلطنة كالعثمانيين. [6] تناولت المصادر الإسلامية موضوع الخلافة بالتفصيل وميزت بين فترات الخلافة الثلاث؛ إلا أن فترة النظام السياسي للخلافة الراشدة في كون الشورى هي الأساس تعد هي فترة الخلافة الحقيقية التي يجب أن يقاس عليها ويحتذى بها؛ ولطالما ميز المسلمون بين الخلافة الحقيقية وخلافة الملك والسلطنة.

4.15.الخاتمة

لا شك أن أفضل نظم الخلافة نظام خلافة الراشدين القائم على الشورى الذي كانت الأمة تختار فيه الخليفة من بين أفرادها حتى وإن كان من عامة الناس وتشارك في الموافقة عليه أو رده بنسبة تامة؛ ولا يوجد فيه أسرة عاضة على الحكم في هذه الفترة. وقد تبع هذه الفترة نظام الخلافة الملوكية على يد الدولتان الأموية والعباسية وفي هذا النظام تم الجمع بين خلافة الشورى والملك؛ عبر الأسرة العاضة على الحكم وولاية العهد والاختيار من بين أفرادها؛ فالخلافة هي الأصل والملك هو التابع لها عند ضرورة الأمر الواقع؛ وقد كانت الأمة تشارك في اختيار الخليفة مشاركة جزئية. أما في خلال العهد العثماني فتم انشاء نظام سياسي آخر للخلافة وفقًا للوضع السياسي في ذلك الوقت؛ حيث جمعت الخلافة بين نظامي السلطنة والخلافة وكانت السلطنة هي الأصل صاحبة السلطان الزمني "السياسي" والخلافة هي الملحق الروحي للسلطنة في هذا النظام؛ وكانت الأمة لا تشارك في اختيار الخليفة بل يعين من قبل السلطان السابق في حياته وليًا للعهد أو أكثر ويعرف باسم الشاه زاده ويوافق عليه أهل الحل والعقد في عاصمة الخلافة بمشاركة شيخ الإسلام.

وقد حرمت الأمة من المشاركة الكلية في اختيار الخليفة كنظام خلافة الشورى ومن المشاركة الجزئية في اختياره كنظام الخلافة الملوكية وأصبح قبوله أمرًا واقعًا تقر به سواء قبلته أم لم تقبله؛ وبذلك لم تعد الأمة تشارك في اختيار الخليفة الذي يحكمها ويمثلها في نظام خلافة السلطنة. في ضوء كل هذا كانت روح الخلافة التي توحد الأمة وتحافظ على مفهوم قوله تعالى: " إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ "[7] قائمة مستمرة؛ وكان مفهوم أرض المسلمين غير المجزئة لا يزال قائما، ولم يكن ثمة فارق بين أعراق المسلمين على أساس اللون أو العرق؛ وأنهم مهما اختلفت أعراقهم واجب عليهم الدفاع عن أرض بعضهم البعض؛ لأنها وفقًا لهذا الزمان تعد كل أرض الإسلام أرضهم. حتى أن السلطان الخليفة العثماني -التركي-

[6] الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي، ص 420.

[7] سورة الأنبياء، 92/21.

كان يعتبر البلدان العربية بلاده؛ وكان الخليفة هو المسؤل عن المسلمين في كافة بقاع الأرض وأمام أمم الأرض؛ ويسأله المسلمون في كل ما يخصهم؛ وكان اقتصاد الأمة واحد؛ وكانت الشريعة مطبقة؛ مهما حصل من خلل في تطبيقها أحيانًا. لهذا لم تسقط الخلافة بتغير نظام اختيار الخليفة؛ فقد ظلت قواعدها المتعارف عليها كما هي في نظم الخلافة السياسية الثلاث؛ إلا أن طريقة تعيين واختيار رأس الخلافة صاحب الإمامة الكبرى للمسلمين قد اختلفت. لهذا لا يجوز الزعم بانتهاء نظام الخلافة بانتهاء عهد الخلفاء الراشدين لأن هذا تكذيب للأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول ﷺ؛ فإذا كنا عاجزين عن إقامة نظام خلافة مثالي في عصرنا الحالي، فمن المهم أن يكون المسلمون تحت سقف واحد يجمعهم؛ كما قال تعالى: "وَاِنَّ هٰذِهٖٓ اُمَّتُكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً وَاَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"[8]

الكلمات الدالة: "الخلافة ، خلافة: الشورى و الملوكية و السلطنة ، أهداف نظام الخلافة".

ملحوظة: هذا المقال نشر في جريدة إدراك بوست التركية قبل التأكد من بطلان حديث سفينة.

الخاتمة

نحو وعي مسترد وهوية راسخة

وفي ختام هذه الرحلة الفكرية والتاريخية الممتدة عبر ملفات شائكة وحقائق طال طمسها، نصل إلى حقيقة كبرى مفادها :**أن من ملك رواية الماضي، وحلّل مكامن الحاضر بنظرة نفسية ومعرفية توحيدية، ملك القدرة على صياغة المستقبل.**

لقد طوفنا في هذا الكتاب بين دماء غزة النازفة التي تعيد تشكيل العالم، وبين قطارات الحجاز التي تحولت من حلم وحدة إلى صراع ممرات، وتوغلنا في أعماق السجالات الفكرية والعقدية من الكوفة إلى أنقرة، لنثبت أن معركة الأمة في جوهرها هي **معركة وعي ومصطلحات** .إن تفكيك المناهج الاستشراقية والتغريبية، وتقديم "علم النفس الأثري التوحيدي" كبديل معرفي أصيل، هو خطوة البداية الحقيقية لتحرير العقل المسلم من التبعية.

إن "الوعي المغيَّب" لا يستيقظ بالصدمات فحسب، بل بالحقائق المجردة، والتوثيق الصارم، والربط الذكي بين حركة التاريخ المعاصر والجذور الفكرية القديمة. لقد أردنا بهذا العمل أن نضع بين يدي الباحث عن الحقيقة دليلاً يربط "سياسة الحاضر" بـ "عقائد الماضي"، ويثبت بالدليل القاطع أن هويتنا العربية الإسلامية هي طوق النجاة الوحيد في عالم تمزقه الصراعات والانقلابات وتجتاحه الموجات اللادينية.

[8] سورة المؤمنون، 23/ 52.

أتقدم بالشكر الجزيل لـ **"مركز الأبحاث العلمية والاستشارات؛ ولجريدة إدراك بوست التركية"؛** على ركابهم ودعمهم لخروج هذا العمل إلى النور بالصورة المرجوة.

فما كان في هذا الكتاب من توفيق وسداد فمن الله وحده، وما كان فيه من نقص أو زلل فمن نفسي. والرجاء أن يقع هذا الجهد موقع القبول، وأن يكون لبنة في بناء جيل يعي تاريخه، فيحمي حاضره، ويبني مستقبله على بصيرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. خالد عبد الكريم أبو شنب *أنقرة - 1447هـ / 2026م*